جامعة الشهيد حمه لخضر – الوادي

معهد العلوم الاسلامية

قسم أصول الدين

الأمير عبد القادر حياته ودعوته

مذكرة تخرج تدخل ضمن متطلبات الحصول على شهادة الماستر

في العلوم الإسلامية تخصص: دعوة إعلام واتصال

إعداد الطالبة:

* الزهرة زواري فرحات

إشراف :

* د. عبد الرحمن طيبي

لجنة المناقشة

الأستاذ	الجامعة	الصفة
د. الجباري عثماني	جامعة الشهيد حمه لخضر – بالوادي–	رئيسا
د. عبد الرحمن طيبي	جامعة الشهيد حمه لخضر – بالوادي–	مشرفا ومقررا
أ. العيد بلالي	جامعة الشهيد حمه لخضر – بالوادي–	مناقشا

السنة الجامعية: 1438–1439هـ/2017–2018 م

الفصل الأول

الأمير عبد القادر حياته وسيرته

المبحث الأول: عصر الأمير عبد القادر

المطلب الأول: الأوضاع السياسية

أولا: الأوضاع السياسية في مرحلة ما قبل الاحتلال

عايش الأمير عبد القادر نظام الحكم التركي، إذ مر حكم الأتراك في الجزائر بأربعة أنواع من الأنظمة بدأ بحكم الباي لاربايات ثم الباشوات ومن بعدها الأغوات، وانتهى بنظام الدايات، وقد عايش الأمير عبد القادر حكم الدايات.

مرحلة حكم الدايات من 1671-1830

في عهد الدايات وضع الأتراك ديوانين، الديوان الخاص والديوان العام.

الديوان الخاص هو المجلس التنفيذي للدولة، يترأسه الداي الذي ينتخب من قبل الديوان مدى الحياة، ويستمد نفوذه أساسا من الرياس ومن الوجاق، ويتمتع الداي بحكم مطلق لا يحد من نفوذه سوى القادة العسكريون الكبار والموظفين الساميون[1]، وقد تطور حكم الدايات إلى أن أصبح حكما مطلقا وصار اجتماع الديوان أمرا شكليا، فالدأي هو الذي يختار وزراءه الذي يتكون منهم مجلس الدولة ويأتي في مقدمة هؤلاء الوزراء ما يأتي [2]:

1.الخز ناجي: وهو يتكلف بتسيير الخزينة العمومية ويمشي مباشرة وراء الداي ويخلفه في حالة الغياب، وبذلك يعتبر الوزير الأول للدأي.

2.آغا: وهذا الوزير يقوم بمهام باي الجزائر وهو القائد العام للقوات البحرية.

3.وكيل الخراج: هو وزير البحرية ومسؤول الخطائر التي تبنى فيها البواخر.

4.بيت المالجي المكلف ببيت المال: وهو الذي يسهر على تسجيل العقود والمواريث.

5.خوجة الخيل: الذي يتلقى ما يدفع للدولة والداي من هدايا وزكاة يقدمها رعاياه من نجوع عرب الصحراء.

[1] عمار عمورة، الجزائر بوابة التاريخ، ما قبل التاريخ الى غاية 1962، دار المعرفة، الجزائر، 2006،ج1، ص 238.

[2] مبارك محمد لهلالي لميلي، تاريخ الجزائر القديم والحديث، مكتبة لنهضة الجزائرية ، مكتبة لنهضة لجزائرية،لبنان، 1964م، ج3، ص183_ 184.

وبعد مرتبة الوزراء يأتي مرتبة خزائن دار وهو أمين المال الخاص بالداي وبعد ذلك يأتي مرتبة الخوجة أو الكاتب[1]. ويجتمع مع هذا المجلس كبار رجال الدين؛ قضاة ومفتيين وأئمة ونقيب الإشراف وإلى جانب هذا المجلس الحكومي الذي ينظر في المجلس العام يوجد مجلس ديوان عسكري وفيه رؤساء الجنود وله تأثير عظيم على حياة العامة؛ إذ إنه لا يكاد يصل كرسي البشوية إلا من قدمه الديوان إليه[2].

وقد كانت الجزائر مقسمة إلي أربعة مقاطعات إدارية تتمثل في ما يلي:

1. دار السلطان: وهي عبارة مقاطعة إدارية توجد في الجزائر العاصمة ونواحيها .

2. بابليك الشرق: ويعتبر من أكبر الولايات الموجود في الجزائر.

3. بابليك الغرب :وتأتي في الدوجة الثانية من ناحية المساحة ،أي بعد ولاية قسنطينة .

4 . بابليك التيطري :كانت عاصمة مدينة المدية، وهو أصغر ولايات القطر .[3]

يذكر عبد الرحمن الجيلاني نقلا عن المؤرخ الألماني سيمونوف: "إن دايات الجزائر لم يكونوا ملوكا وراثيين، بل كانوا رؤساء جمهورية عسكرية، لم يبقَ لها قبل آخر عهد إلا مجرد علاقة اسمية بإسطنبول". ويقول المؤرخ الفرنسي دوق رامون: " لقد كان الديوان أي الحكومة الجزائرية يتخذ القرارات بكل سيادة يعلن الحرب ويعقد السلم، ويمضي معاهدات، ويقوم أخلاقا بدون أي تساؤل عما إذا كانت تلك القرارات المتخذة موافقة أو غير مواقفه لسياسة الباي الأعلى".[4]

ولقد ذكرت لنا مصادر تاريخية أخرى سلسة من الاغتيالات التي تعرضت لها الدايات والبايات في الجزائر[5]، حيث عرفت الحياة السياسية في مرحلة ما قبل الاحتلال اضطرابات لا سيما في عهد

---

[1] مبارك بن محمد الهلالي الميلي، تاريخ الجزائر القديم والحديث، مرجع سابق ، ص 183-184.

[2] أحمد توفيق المدني، كتاب الجزائر، تاريخ الجزائر الي يومنا هدا وجرافيها الطبيعية والسياسية وعناصر سكانها ومدنها ونظاماتها وقوانينها ومجالسها وحالتها الاقتصادية والعلمية والاجتماعية،لاط، المطبعة العربية، الجزائر، 1931م، ص 36.

[3] عمار بوحوش ، التاريخ السياسي للجزائر من البداية ولغاية 1962، ط1، دار الغرب الاسلامي،لبنان ،1997م،ص 63.

[4] ينظر:عبد الرحمن بن محمد الجيلالي، تاريخ الجزائر العام، دار الأمة، الجزائر، 2009، ج4، ص 94.

[5] محمد بن جبور، الاحتلال الفرنسي للجزائر، ومقاومة الأمير عبد القادر (1830-1847)، أطروحة لنيل شهادة الدكتوراه، تاريخ الحديث والمعاصر، جامعة وهران، الجزائر،2013/2012، ص 28.

الأغوات والدايات، وهذا جراء سوء تصرفهم، حيث قتل أربعة أغوات وثمانية دايات على يد الجيش التركي ومنهم: الداي مصطفى باشا (1805م)، والداي أحمد (1808م)، والداي على غسال (1809)، والداي محمد (1814)، والداي عمر باشا (1817)[1]. ويتضح لنا من خلال بعض الدراسات انتشار ظاهرة الاغتيالات السياسية في الجزائر التي عمت الجزائر خلال القرن التاسع عشر ميلادي والذي يعود إلى فساد الانكشاريين وتدخلهم المستمر في الحياة السياسية في الجزائر[2].

لقد مر النظام السياسي في الجزائر في عهد العثماني بمراحل تاريخية عبرت بشكل أو بآخر عن تعاقب السلطات الحاكمة وكذلك صلاحيات الحكام في الجزائر وعلاقتهم مع الباي الأعلى، أي دار الخلافة في إسطنبول، وقد تجلى هذا التطور في عهد الدايات، ويظهر بشكل كبير في نسبة الصلاحيات الممنوحة للدأي وأعوانه داخل السلطة الحاكمة في إيالة الجزائر والمتمثلة أساسا في الباشا أي رئيس الدولة وكذلك الديوان الكبير والديوان الصغير والموظفين السامين، ويتمثل الحكم في أواخر العهد العثماني في الجزائر قبل الاحتلال الفرنسي بسلطة دخيلة ومستبدة، مشكلة نظاما جمهوريا عسكريا مستبدا لا يراعى سوى تحقيق المصلحة الخاصة مع تغيير الرعية الجزائرية، وكانت هذه السلطة متمثلة في شخص الداي حسين وكانت غايته وأهميته بالجزائر تحقيق مصلحة شخصية[3]، وبعدها مرت الجزائر في مرحلة ضعف وانحطاط وخاصة بعد تحطيم أسطولها في معركة نافرين المشهورة بسواحل اليونان في 20 أكتوبر 1827 فقدت فيها الإمبراطورية العثمانية قوتها وهيبتها، وبذلك أصبحت محط طمع للدول الأوروبية وكانت نهاية الوجود التركي في الجزائر على يد فرنسا عام 1830م في عهد الداي حسين بعد ثلاثة قرون من وجودها.[4]

[1]. عمار عمورة، الجزائر بوابة التاريخ ما قبل التاريخ الى 1962، مرجع سابق، ص 243.

[2] مبارك شوادر، لمحة عن الاوضاع السياسية للجزائر في اواخر العهد العثماني، مجلة العلوم الإسلامية والحضارية، العدد الرابع، الجزائر، 2006، ص 227.

[3] مصطفى عبيد، محاضرات في تاريخ الجزائر الحديث (العهد العثماني)، كلية العلوم الانسانية والاجتماعية قسم تاريخ، جامعة المسيلة، الجزائر، ص 38.

[4] عمار عمورة، موجز في تاريخ الجزائر، دار ريحانة للنشر والتوزيع، ط1، الجزائر، 2006، ص 103.

ثانيا: مرحلة الاحتلال الفرنسي

النظم الإدارية التي أقامها العثمانيون في الجزائر لم تختلف كثيرا عن تلك التي أسستها الدولة العثمانية في إسطنبول، واما تلك التي أسسوها في أجزاء أخرى من الدولة العثمانية المترامية الأطراف فعلى الرغم من الطابع الشرقي الذي تميز به نظام الحكم التركي إلا أن الفرنسيين أبقوا على بعض منها أثناء الاحتلال في الجزائر، كما نادى عدد من قيادات الحملة العسكرية الفرنسية بالتطبيق الحرفي لهذا النظام، ولا سيما العسكرية منها.[1]

ومع سقوط الجزائر في قبضة الاحتلال الفرنسي وفي أول يوم للاحتلال؛ كان أول ما فعله الكونت دي بورمون قائد الحملة الاستعمارية في الجزائر حل المنظمة الانكشارية؛ إذ أمر بترحيل انكشاريين غير المتزوجين إلى آسيا الصغرى، بعد تجريدهم من أسلحتهم، مما عمل على إحداث فوضى كبيرة في مدينة الجزائر؛ إذ يقول أحد المؤرخين الفرنسيين: "ليس هناك مدينة في العالم قد شهدت عند احتلالها فوضى كالتي شهدتها مدينة الجزائر، فقد اختطفت الحلق والسلاسل، والاخشاب والسنانير من الميناء، وخلعت أبواب المحلات ونهبت الأموال والأثاث والحلى من المنازل، وكثر الاعتداء على الأشخاص والأعراض"[2]، وزاد الأمر سوءا أن القائد العام دي بورمون قد جلس على الكرسي متفرجا ولم يحرك ساكنا، رغبة منه في تعقيد الأمور أكثر. أما في اليوم الثاني من الاحتلال الفرنسي قد عمل دي بورمون على إنشاء "لجنة الحكومة" والتي تتلخص مهمتها في النظر في حاجيات وإمكانيات البلاد والنظم التي يجب تعديلها وإلغاءها والفائدة من استخدام أعيان الجزائريين من مختلف الطبقات الأهلية والفرنسية وإحلالهم محل الموظفين العثمانيين السابقين، والعمل على إحكام السيطرة على النظام السياسي في مدينة الجزائر وتسيير وظائف المدينة، ولقد كان جل المناصب العليا والحساسة في "جنة الحكومة" من نصيب الفرنسيين والتي تضم عددا من الشخصيات المهمة ومنها الجنرال تولوزي، والجنيرالفيونير، والقنصل الفرنسي السابق لمدينة عنابة دوفال، وغيرهم وكانت مهمة "لجنة الحكومة"تأسيس الإدارة الفرنسية في الجزائر على أنقاض الإدارة العثمانية من خلال العمل على تحقيق هدفين وهما:

[1] أبو القاسم سعد الله، محاضرات في تاريخ الجزائر الحديث (بداية الاحتلال)، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، ط3 ، 1982، ص 47.

[2] مرجع نفسه، ص 47.

1.جمع المعلومات عن الإدارة العثمانية السابقة للاستفادة منها في الإدارة الجديدة.
2.توفير السكن والمستشفيات للجيش الفرنسي.[1]

لم يكتفِ دي بورمون بإنشاء "لجنة الحكومة"، التي كانت تعمل بدرجة أولى على تحقيق أهداف الحملة الفرنسية بشكل مباشر، وهي جعل الجزائر مقاطعة تابعة لفرنسا، غير أن هذه اللجنة فشلت في مساعيها؛ وبالتالي عمل الجيش الفرنسي على انشاء لجنة حكومية ثانية[2].

لم يكتف المحتل بإنشاء اللجنة المركزية، بل عمد من خلال هده اللجنة إلى إنشاء "هيئة مركزية"[3] والتي تضم عددا من الممثلين عن المناطق السبع المهمة في مدينة الجزائر، وهم بطيعة الحال جزائريين حيث إن بعض أعضاء هذه الهيئة كانت له مهمة في المجتمع الجزائري وبعضهم الآخر كانت له شهرة في التعاون مع الفرنسيين، كما أن عددا منهم كان يشغل مناصب عليا في الإدارة العثمانية السابقة، ولذلك عمدت فرنسا على حكم الجزائر من خلال عدد من الجزائريين الموالين لها[4]، ولعل الفرنسيين قد لجأوا إلى خلق هذه الهيئة إلى ترضية الجزائريين ولا سيما الطبقة التي تعاونت لهم وكانت تظن إن إنهاء الإدارة العثمانية يعني انتقال الحكم إليها، أما السلطة الحقيقية فقد كانت في يد اللجنة الحكومية[5].

بعد سقوط مدينة الجزائر في يد المحتل الفرنسي عمل المحتل الفرنسي على توسيع حملته في شرق الجزائر وغربها مما دفع إلى ظهور عدد من المقاومات المحلية، إلا أن جلها باءت بالفشل، ويعود ذلك إلى عدة أسباب أهمها قوة الاحتلال الفرنسي الذي عرف بكثرة عدده وقوة عتاده وقت دالك، ولعل من أهم تلك المقاومات مقاومة الأمير عبد قادر مؤسس الدولة الجزائرية الأولى.[6]

كانت السياسة الاستعمارية فالجزائر منذ الاحتلال الفرنسي 1830م تهدف إلى ثلاثة أشياء، وهي:

---

[1] ينظر إلى: مرجع سابق، ص 48 _ 55.

[2] سماعيل يزليخة المولودة علوش، تاريخ الجزائر من فترة ما قبل التاريخ إلى الاستقلال، دار دزاير انفو، ط1، الجزائر، 2013، ص 371.

[3] ينظر: أبو القاسم سعد الله، محاضرات في تاريخ الجزائر الحديث (بداية الاحتلال)، مرجع سابق، ص 58.

[4] عمار بحوش، التاريخ السياسي للجزائر من البداية ولغاية 1962، مرجع سابق ،ص 92-93.

[5] ينظر إلى: مرجع سابق، ص 101.

[6] ينظر: أبو القاسم سعد الله، محاضرات في تاريخ الجزائر الحديث (بداية الاحتلال)، مرجع سابق، ص 55-60.

1. جعل الجزائر مدينة فرنسية بكل ما يعني ذلك من أبعاد.
2. طمس تاريخ والشخصية الجزائرية وإزالته من الاعتبار.
3. قهر أي نوع من أنواع المقاومة التي يمكن أن تزعج أمن فرنسا في الجزائر.[1]

[1] أكرم بوجمعة، أوضاع الجزائر خلال مطلع القرن العشرين، مجلة كلية التربية الأساسية، للعلوم التربوية والانسانية، جامعة ابي بكر بلقايد، تلمسان، الجزائر، 2016، ص 164.

المطلب الثاني: الأوضاع الاجتماعية

كان المجتمع الجزائري يتكون من جزائريين وأتراك وكرغلة (أب تركي وأم جزائرية)، أما عدد السكان فهناك اختلاف كبير بين المؤرخين، لأن السلطة التركية لم تكن تهتم بعمليات الإحصاء، ولكن معظم المؤرخين يقدرون عددهم بثلاثة ملايين نسمة في الفترة الأخيرة للحكم العثماني، بعدما تعرضت البلاد للعديد من الكوارث الطبيعية، مثل المجاعات والجراد[1]، وعليه سنعرض باختصار التركيبة السكانية التي شكلت مخيطا واسعا لبيئة الأمير عبد القادر وتتكون من عدة فئات منها:

1. الفئة الأرستقراطية التركية: وهي الفئة المسيطرة علي الجزائر حتي نهاية الحكم العثماني بالجزائر في سنة 1830.وبالرغم من قلة عدد أفراد هده الجالية التي لم يتجاوز عدد أفرادها سنة 1830م 20.000 نسمة فأنها كانت قوية وذات نفود واسع في البلاد ،وتميز هده الفئة عن غيرهم من السكان باتباع تقاليد تركية والافتخار بأعمالهم العسكرية[2]

2. فئة الكراغلة: تكونت هذه الفئة نتيجة زواج أفراد الجيش الانكشاري بنساء جزائريات[3]. وميزة هذه الفئة ترفعهم عن باقي السكان عجزهم على الاندماج مع الأتراك[4].

3. جماعة الحضر وطائفة اليهود: يتشكلون من الأسر العريقة في المدن الجزائرية الرئيسة لاسيما مدن الجزائر ووهران معسكر والبليدة وتلمسان وقسنطينة وميلة وعنابة. ويعتبر عدد الحضر ضئيل إذ ما يقاس بعدد سكان الريف قليلا فهم لا يتعدون 5% من إجمالي عدد السكان وقتذاك.[5]أما اليهود فهم قلة منهم من ترجع أصولهم إلى الفترة ما قبل الاسلام، كما ارتبط الحضر مع جماعة اليهود نظرا للمصلحة المشتركة والمعاملة المتبادلة بين المجموعتين.[6]

---

[1] صالح فركوس ، تاريخ الجزائر من ما قبل التاريخ إلي غاية الاستقلال المراحل الكبرى ، دار العلوم للنشر والتوزيع ,الجزائر،2005 ،ص 170.

[2] عمار بوحوش،التاريخ السياسي للجزائر من البداية ولغاية 1962، مرجع سابق، ص73-74.

[3] مؤيد محمود حمدالمشهداني، سلوان رشيد رمضان، أوضاع الجزائر خلال الحكم العثماني، مجلة الدراسات التاريخية والحضارية، مجلة علمية محكمة، المجلد الخامس، العدد 16، جامعة تكرت، العراق، 2013، ص 43.

[4] عائشة بن ساعد ،البعد الروحي لمقاومة الأمير عبد القادر،أطروحة لنيل شهادة الماجستير في تاريخ الحديث والمعاصر، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، الجزائر،ص 32.

[5] نصر الدين سعدوني ،عصر الأمير عبد القادر، مؤسسة جائزة عبد العزيز السعود، الكويت،2000م ،ص109-110

[6] مؤيد محمود حمدالمشهداني، سلوان رشيد رمضان، أوضاع الجزائر خلال الحكم العثماني، مرجع سابق، ص 425.

4. فئة المخزن: وهم عشائر تعاملت مع الأتراك وصفها نصر الدين سعدوني في كتابه بأنها مجموعات سكانية متمايزة في أصولها المختلفة، وفي أعرافها ذات طابع ريفي، مهمتها المشاركة في الحملات الفصلية.[1]

كانت الحياة الاجتماعية في الجزائر يتحكم فيها عاملان أساسيان يتم عن طريقهما إما الوصول إلى السلطة أو الحصول على امتيازات، وهما الرتبة العسكرية والمال ولم يكن هناك تمييز ديني أو عرقي، أما العديد من العائلات اليهودية فقد كانت تعيش حياة برجوازية مترفة، ويمثل المسلمين ما نسبته 99% من سكان الجزائر أغلبيتهم على المذهب المالكي وجلهم يزاول الفلاحة وتربية المواشي والأقلية تمارس النشاطات الحرفية والتجارية، ومنهم طبقة برجوازية تسكن المدن السياحية، وتملك أحسن المنازل والأراضي متكونة من الأتراك والحضر يخدموهم وفي بيوتهم العبيد المسحيين من أوروبا الذين كانوا يعملون أيضا في صناعة السفن والبارود والأسلحة[2]، أما المرأة في العهد التركي لم تكن تخالط الرجال أو تخرج من المنزل إلا عند الضرورة. وعموما كان المستوى المعيشي والتربوي أفضل من نظيره في الدول الأوروبية وهذا بشهادة الرحالة الأوروبيين والفرنسيين.[3] وقد اتسمت الأوضاع الاجتماعية في العهد العثماني في الجزائر في أكثر الأحيان بالفوضى والاضطرابات والتوترات الإنكشارية كما كانت تتأثر بالأوبئة والأمراض والكوارث وكانت الحياة الريفية أشد قسوة، إذ كثيرا ما كانت تتعرض للهجوم من طرف القوات التركية وذلك بسبب رفضها للاستجابة لدفع الضرائب المفروضة عليها. وظلت القبائل الجزائرية خلال الحكم العثماني تعيش الصراعات الدموية نتيجة السياسة التركية[4].

وكان من الأخطاء التي ارتكبها الأتراك هو عدم محاولتهم ربط المجتمع الجزائري بحكمهم، واستمرت علاقتهم بالمجتمع الجزائري تتسم بالسوء وبطابع نفعي بحت[5].

ويتضح لنا مما سبق أن الجزائر في الحكم التركي التي عايشها الأمير عبد القادر عرفت أوضاعا إجماعيه صعبة بسبب إنتشار الأمراض والأوبئة واحتكار الملكية وظهور الطبقية فزاد تنافر أفراد المجتمع

[1] عائشة بن ساعد، البعد الروحي لمقاومة الأمير عبد القادر، مرجع سابق، ص 32.

[2] عمار عمورة، الجزائر بوابة التاريخ ما قبل التاريخ إلى غاية 1962، مرجع سابق، ص 253.

[3] المرجع نفسه ، ص 255.

[4] صلاح فركوس، تاريخ الجزائر من ما قبل التاريخ إلى غاية الاستقلال، مرجع سابق ، ص 170.

[5] مؤيد محمود حمد، سلوان رشيد رمضان، أوضاع الجزائر خلال الحكم العثماني، مرجع سابق ، ص 427.

والسلطة، وهذا كان عاملا أساسيا في دخول يد أجنبية لتسيير الشؤون الداخلية ليبدأ الاحتلال الفرنسي في الجزائر.

أما الأوضاع الاجتماعية في الجزائر بعد الاحتلال الفرنسي، ارتكزت على أربعة محاور وهي:

1.تشجيع هجرة الأوروبيين إلى الجزائر، والهدف منها تجميع أكبر عدد ممكن من المستوطنين الأوروبيين والفرنسيين وبالتالي تغيير الخريطة السكانية للجزائر.
2.العمل على تفكيك المجتمع الجزائري بالنفي والتهجير والتجهيل وتشجيع استهلاك الخمور ونشر الفساد وبث عقارب الصراع والفوضى.
3.تجنيس فئة من الجزائريين بالجنسية الفرنسية ممن تتوفر فيهم بعض الشروط النادرة، واستغلالهم للخدمة في الجيش الفرنسي أو المجلس المنتخب أو الإدارة بالإضافة إلى القراءة والكتابة بالفرنسية، والسماح لهم بحيازة بعض الممتلكات.
4.التخلي عن قانون الأحوال الشخصية الإسلامية واستبدالها بالقانون الشخصي المدني.[1]

وكانت نتائج الاحتلال الفرنسي على المجتمع الجزائري قد تغيرت طبيعته وتأثر الفرد الجزائري بمؤثرات جديدة، فالجزائري أصبح لا يخرج من داره إلا وهو ذليلا، وأصبح محجوبا كالمرأة وذلك لأن الشارع فيه حضارة غريبة عن حضارته، وأصبح الجزائري غريبا في وطنه ومجتمعه[2]. كما قام الاستعمار الفرنسي بتحطيم أركان المجتمع الجزائري سواء أكانت قبلية أم الهيئات القيادية التي تعتمد على الأصالة والمال والزعامة الدينية، وتحول معظم السكان إلى مزارعين في مزارع المعمرين، كما عملت سياسة القهر الاجتماعي التي تعرض لها أهل العاصمة علي زيادة سوء أوضاعهم الاجتماعية فانتشرت البطالة وارتفعت نسبة الإجرام وتفشي الآفات الاجتماعية، وزيادة المجاعة، وكانت نتيجة هذا التدهور والتغيير الناتج عن القهر الاجتماعي هو أن المجتمع الجزائري أُصيب بالركود والخمول وتدهورت حالة السكان وانتشر في المجمع الجزائري الفقر والجهل.[3]

[1] ينظر: بشير بلاح، تاريخ الجزائر المعاصر (1830، 1989)، جدار المعرفة، 2006، الجزائر، ج1 ، ص 155-157.
[2] المرجع نفسه ، ص 169.
[3] أكرم بوجمعة ،أوضاع الجزائر في مطلع القرن العشرين ،مرجع سابق، ص 168-169.

فعلى الرغم من النهضة المجتمعية التي برزت في العهد العثماني غير أنها سرعان ما اختفت مع دخول المحتل الفرنسي حيث عمل الاستعمار الفرنسي على تغيير الخريطة السكانية بإيفاد عدد كبير من المحتلين من شتى بقاع أوروبا في سعيا منها في إنشاء قاعدة مجتمعية مدنية تساعد على نحاج أهداف الاستعمار الفرنسية وترسيخه على المدى البعيد في الجزائر. ولم يكتف المستعمر الفرنسي بذلك بل عمد أيضا على تحطيم الروابط الاجتماعية الأساسية وعمل على إدخال مفاهيم وأفكار هدامة في المجتمع الجزائري في رغبة منه في إحكام سيطرته على كافة أطياف المجتمع الجزائري

المطلب الثالث: الأوضاع الثقافية

كانت الحياة الثقافية في الجزائر قبل الحكم العثماني تعاني من الركود الثقافي، غير أنه ومع امتداد الحكم العثماني وإحكامه السيطرة على العديد من المدن الجزائرية، أصبحت هذه المدن تعيش حركة ثقافية وفكرية ودينية تضيء بنور معرفتها على جميع أرجاء القطر الجزائري وخارجه[1]

كان الشعب الجزائري على المذهب المالكي، أما الأتراك والكرا غلة كانوا على المذهب الحنفي، الذي أصبح في عهدهم هو المذهب الرسمي، ولذلك كان يوجد في الجزائر مفتي مالكي والمفتي الأكبر الحنفي[2].

وكان التعليم في الجزائر في العهد العثماني شبه مستقل عن الدولة ويخضع للمراقبة والتوجيهات من نظام الأحباس وهذا لكون نفقاته كانت تدفع من أموال الأوقاف والمواد التي كانت تدرس في المرحلة الأولى للصغار القراءة والكتابة والقرآن[3]، وقد كانت قسنطينة وتلمسان والعاصمة أهم مراكز الثقافة في البلاد، فقسنطينة وحدها كانت تشمل على 42 مسجدا للتعليم الثانوي يدرس فيه ما بين 607 تلميذ و90 مدرسة ابتدائية تحوي حوالي 800 تلميذ تتراوح أعمارهم ما بين 6 و10 سنوات[4]. وتشهد كتب بعض الرحالة الأجانب الذين زاروا الجزائر خلال العهد العثماني بأن التعليم كان منتشرا وأن كل جزائري تقريبا كان يعرف القراءة والكتابة، وقد كان التعليم حرا من سيطرة الدولة، ومن سيطرة الحكام العثمانيين فقد كان سكان كل قرية ينظمون بطرقهم ووسائلهم الخاصة تعليم القرآن والحديث والعلوم العربية والإسلامية، لأن دراسة هذه العلوم هي السبيل إلى معرفة وفهم أسرار الدين والقرآن؛ ولذلك كان القرآن أساسا للتعليم في الجزائر.

وكان لبعض حكام الأتراك أيادي بيضاء في تشجيع بناء المساجد والمدارس على سبيل المثال الباي محمد الكبير الذي جعل من مدينة معسكر عاصمة علمية كبيرة[5]، ولقد انتشر التعليم في كل أنحاء القطر حيث اضطلع بهذه المهمة الكثير من رجال الدين، وحفاظ القرآن الكريم في المساجد والزوايا

[1] صلاح فركوس، تاريخ الجزائر من ما قبل التاريخ إلى غاية الاستقلال، مرجع سابق، ص 171.

[2] عمار عمورة، الجزائر بوابة التاريخ من ما قبل التاريخ الى غاية 1962، مرجع سابق، ص 285.

[3] المرجع نفسه، ص 259.

[4] صلاح فركوس، تاريخ الجزائر من ما قبل التاريخ إلى غاية الاستقلال، مرجع سابق، ص 171.

[5] ابو قاسم سعد الله، محاضرات في تاريخ الجزائر الحديث (بداية الاحتلال)، مرجع سابق، ص 159-160.

والمؤسسات التعليمية الأخرى[1]. وبفضل نشاط المساجد والمدارس والزوايا عرفت البلاد الجزائرية أواخر العهد العثماني حياة فكرية تتميز بالمحافظة وواقعا ثقافيا يتصف بالتقليد ويقوم بالمحافظة على تراث الفترة الإسلامية السابقة، ولقد كانت الزوايا الكبرى والجوامع بالجزائر العثمانية مؤسسات تعليمية لا يقل مستوى التعليم بها عن مراكز التعليم الرئيسة بالعالم الإسلامي، هذا بالإضافة إلى الزوايا الرئيسة بالمدن والأرياف والتي اشتهرت منها زاويا بلاد القبائل ونواحي وهران وجهات الصحراء خاصة، ومنها زاوية القطينة حيث درس الأمير عبد القادر فيها في بداية حياته.[2]ولعبت الزوايا دورا كبيرا في الحفاظ على اللغة والدين وتنشيط الحياة الثقافية.

غير أن النهضة الثقافية التي شهدتها الجزائر في عصر الحكم العثماني والتي بلغت ذروتها في بدايات القرن التاسع لم تدم طويلا؛ مع دخول المحتل الفرنسي للجزائر فقد عمل على هدم الأسس الثقافية التي لا تتماشى مع أهدافه.

أما الأوضاع التعليمية في الجزائر في بداية الاحتلال الفرنسي تمثلت فيما يأتي:

سخرت فرنسا التعليم في الجزائر لخدمة أغراضها الاستعمارية، فعملت على إيجاد نوع من التعليم يفرغ الشخصية الجزائرية من مضمونها ويقضي على روح المقاومة، لذلك فقد عملت فرنسا على نسفمجتمع الجزائر بضرب الإسلام واللغة العربية وتجهيل السكان وإفساد أخلاقهم وتمكين الديانات المسيحية والثقافية الفرنسية.[3]

وقد اعتمد السياسة التعليمية الاستعمارية على أربعة قواعد:

1. سياسة الادماج :كان هدف فرنسا مند دخولها الجزائر الي إذابة الكيان الجزائري ودالك باتخاذ عدة اجراءات قانونية منها منع السكان الجزائريين من الحصول علي حقوقهم السياسية والاقتصادية. ومنح الجنسية الفرنسية لليهود.

[1] صلاح فركوس، تاريخ الجزائر من ما قبل التاريخ إلى غاية الاستقلال، مرجع سابق، ص 171-172.
[2] نصر الدين سعدوني، عصر الأمير عبد القادر، مرجع سابق، ص 132-133.
[3] بشير بلاح ،تاريخ الجزائر المعاصر1830.1989، مرجع سابق ، ص 153.

2 . سياسة الفرنسية:منذ الاحتلال حلت اللغة الفرنسية وثقافتها محل اللغة العربية وثقافتها ، كما اعتبرت اللغة العربية لغة أجنبية بالجزائر ،وقامت فرنسة بالقضاء علي جميع مراكز التعليم والثقافة العربية وتهديم الأثار الاسلامية ومحاولة تشويه تاريخ الجزائر ،والعمل علي حرق المؤلفات والمخطوطات والوثائق [1].

لقد صاحب وجود الاحتلال الفرنسي جمودا كبيرا في الحركة الثقافية في الجزائر، الأمر الذي جعل من الصعب على الأدباء أن يبرزوا أو يجدوا مكان لهم في الجزائر، وكان الاحتلال نفسه ضغطا على السيادة الجزائرية كما يقول القدماء " فقد ضرب التعليم ضربة قاضية على أثر مصادر الأوقاف (الأحباس) فأغلقت المدارس وتوقفت حلقات الدروس الحرة في المساجد وهجر العلماء ونهبت المكتبات وانشغل الباقون من المتعلمين بحفظ الرمق، وخافوا من الكتابة بينما التحق بعضهم بالمقاومة التي تولاها الأمير عبد القادر في غرب البلاد"[2].

عملت السلطة الفرنسية على اضطهاد المدرسين والطلبة منذ احتلال الجزائر فتعرض بعضهم إلى القتل وبعضهم الآخر إلى النفي حتى كادت تختفي الطبقة المثقفة في المرحلة من الاحتلال وفي المقابل عملت فرنسا على تأسيس المدارس الشرعية منها المدارس الفرنسية التي ظهرت منذ 1850 في كل من قسنطينة والجزائر العاصمة ووهران وتلمسان، وهكذا نجد الإدارة الفرنسية لم تهتم بتطوير التعليم الجزائري، لذلك انتشرت الأمية بشكل كبير في أوساط الجزائر.[3]وسلكت فرنسا في عملها علي الجزائريين المنهج الفرنسي وتشويه تاريخ الجزائر حتي تمكنت تدريجيامن:

1.إحلال اللغة الفرنسية محل اللغة العربية.
2.القضاء على التراث العربي الإسلامي.[4]

لقد كان المجتمع الجزائري يعيش حالة من الترف الثقافي في العهد العثماني وخاصة في مرحلته الأخيرة، فعلى الرغم من أن نظام التعليم في ذلك الوقت كان مبني على نظام التكافل الاجتماعي؛ حيث كان

[1] إسماعيليزوليخة المولودة علوش ، تاريخ الجزائر من فترة ماقبل التاريخ إلي الاستقلال ، مرجع سابق ،ص 380
[2] أكرم بوجمعة، أوضاع الجزائر في مطلع القرن العشرين، مرجع سابق، ص 170-171.
[3] بشير بلاح، تاريخ الجزائر المعاصر، مرجع سابق ، ص 149-154.
[4] عمار عمورة، الجزائر ما قبل التاريخ الى غاية 1962، مرجع سابق، ص 293.

الجزائريين يعتمدون على أنفسهم في تأسيس المدارس القرآنية وتعليم أطفالهم، حتى بلغت بهم إلى حصر مستوى الأمية بين السكان خاصة سكان المدن والأرياف المحيطة بها. غير إن هذا التنور لم يدم طويلا حيث أنه ومع دخول الاستعمار الفرنسي؛ الذي عمل على هدم منابر العلم والمساجد وتحويل اغلبها إلى ثكنات عسكرية، كان له صدى كبيرا في نشر سياسة تجهيل الشعب وتفقيره ثقافيا.

المبحث الثاني: حياته الشخصية وأثرها

المطلب الأول: نسبه ومولده

أولا: نسبه

يعود أصل الأمير عبد القادر وأسرته إلى الأدارسة الذين كانوا ملوكا في المغرب الأقصى والأوسط، والأندلس[1].هو عبد القادر بن محي الدين بن مصطفى بن مختار بن عبد القادر بن أحمد

المختار بن عبد القادر بن أحمد المشهور بن خدة بن محمد بن عبد القوي بن علي احمد بن عبد القوي بن خالد بن يوسف بن أحمد بن بشار بن محمد بن مسعود بن طاووس بن يعقوب بن عبد القوي بن احمد بن محمد بن إدريس الأصغر بن إدريس الأكبر بن عبد الله المحصل بن حسن المثنى بن حسن السبط بن علي بن أبي طالب وأمه فاطمة الزهراء بنت سيد الوجود محمد ﷺ[2].

ثانيا: مولده

ولد الأمير عبد القادر بن محي الدين بن مصطفى يوم الجمعة الثالث والعشرون من رجب سنة ألف ومئتان واثنان وعشرون، الموافق لليوم السادس والعشرون من سبتمبر سنة ألف وثمانمئة وسبعة (23 رجب 1222 هجري، 26 سبتمبر 1807) [3]، ببلدية القيطنة قرب مدينة معسكر أحد أجداده هو مؤسس دولة الأدارسة بالمغرب الأقصى، ورغم أن نسب الأمير عيد القادر نسب شريف إلا أنه كان يرفض رفضا قاطعا استغلال نسبه وأصله لاكتساب الاحترام والتقدير وطاعة الناس، فكان يقول: " لا تسألوا أبدا ما هو أصل الإنسان وفصله، بل اسألوا عن حياته وأعماله وشجاعته ومزاياه وعندئذ تدركون من يكون " [4]

---

[1] عبد الرزاق بن سبع، الأمير عبد القادر الجزائري وأدبه، 2000، ص 11.

[2] على بن محمد الصلابي، سيرة الأمير عبد القادر قائد رباني ومجاهد إسلامي، دار المعرفة بيروت، ص 100.

[3] محمد السيد محمد علي الوزير، الأمير عبد القادر الجزائري، ثقافته وأثرها في أدبه، وزاره الثقافة الجزائرية، الجزائر، 2007، ص 15.

[4] ينظر: فيصل هومة ومريم سيد علي مبارك ، رجال لهم تاريخ متبوع بنساء لهن تاريخ ، دار المعرفة ، الجزائر ،2000م ، ص34.

المطلب الثاني: نشأته وصفاته

أولا: نشأته

نشأ الأمير عبد القادر في محيط ديني علمي ثقافي، وكان موضع اهتمام وعناية كبيرة من طرف والده الذي مال إليه "ميلا" خاصا، برأفته وحنانه المميزين، لكأنه كان يتوسم فيه المجد، ويحسن أنه سيكون لهذا الفتاه شأنا عظيما فحاول أن ينشئه نشأة تؤهله لتحمل مسؤولية قيادة الأسرة بعد وفاته. ختم القرآن الكريم قبل أن يبلغ الحادية عشر، وأصبح فارسا يشار إليه وبارع في تلقي العلوم التاريخية والفقهية وتعلم مبادئ شتى العلوم اللغوية والشرعية، ونال درجة الطالب وكلف بتحفيظ القرآن للأطفال والقاء الدروس والتفسير في الزاوية، ومن أجل اتمام دراسته سافر عام 1821الى مدينة أرزيو الساحلية التي تقع شمال مدينة معسكر، وذلك على يد القاضي الشيخ أحمد بن الطاهر البطوي الذي كان مشهور بغزارة العلم وسعة الاطلاع، وبعدها رحل الى مدينة وهران الى مدرسة العالم الفقيه أحمد بن خوجة.[1] وقد دامت رحلة الأمير عبد القادر العلمية هذه ما يقارب السنتين (1239-1241) (1821-1823)، ليعود بعدها إلى بلديته القيطنة، التي لم يمكث بها طويلا، حتى بادر والده الشيخ محي الدين وقد رأى علامات الرجولة الجسمية والعقلية قد اكتملت في ولده إلى لتزويجه، واختار له فتاة جمعت محاسن الخلق والخلق والنسب والشريف وهي ابنة عم عبد القادر، والتي كانت مثله تتمتع بجمال وأخلاق عالية، وقد كان عمره آنذاك 15 سنة.[2]

تزامنت شهرته العلمية مع فروسيته الخاصة، وكان الأمير عبد القادر يعيش مرحلة شبابه الحقة بما فيها من قوة وشجاعة وتحمل، وعلى الرغم من الثراء الذي كانت تتمتع به اسرة الأمير عبد القادر إلا أن ذلك لم يدفعه للهو والترف، بل كان متواضعا ووسطيا في كل الأمور، وكانت هوايات الأمير المحببة الى نفسه كثيرا رياضة الصيد؛ التي كان يمارسها برغبة وحب شديدين، وفي هذا السن بدأت ملكة الشعر ولم يبلغ العشرين من عمره بعد، على الرغم من أنه لم يسبق له تعلم موازيين الشعر ومقاييسه.[3]

[1] فيصل هومة ومريم سيدعلي مبارك، رجال لهم تاريخ متبوع بنساء لهن تاريخ ، مرجع سابق ، ص 34.

[2] على بن محمد الصلابي، سيرة الأمير عبد القادر الجزائري ،مرجع سابق، ص 101-102.

[3] عبد الرزاق بن سبع، الأمير عبد القادر الجزائري وأدبه، مرجع سابق، ص 14-15.

وفي أواخر سنة 1826 ميلادي سافر محي الدين مع ابنه عبد القادر بقصد تحقيق امنيته كان تراودهما منذ وقت طويل وهي زيارة الأماكن المقدسة لأداء فريضة الحج.

وعندما رجوعهما، عرجا على البلاد الشامية، حيث أقاما بدمشق عدة شهور، تمكن الأمير أثناءها من الحضور في الحلقات الدروس العلمية التي كان يدرس فيها كبار العلماء بالجامع الأموي وغيره، ومن هناك توجها الى بلاد الرافدين (العراق)، ونزلا بغداد عاصمة الرشيد، فزارا مختلف المشاهد التاريخية ثم عادا الى دمشق وذهبا الى الحج مرة ثانية، ثم قفلا راجعين الى الوطن عن طريق طرابلس وتونس. وقد وتيحت هذه الرحلة المباركة للأمير فرصة الاطلاع على انظمة البلدان العربية وسير حياتهم في الحكم والإدارة ومختلف الميادين السياسية والاجتماعية وغيرها.[1]

كانت هذه الرحلة ذات أثر كبير في حياة الأمير عبد القادر، الذي أخذ مباشرة بعد عودته في الاعتزال عن الناس والانصراف إلى العبادة والدراسة[2].

وفي التاسع عشر من جوان 1830م، نزلت القوات الغازية مناء سيدي فرج قادمة من ميناء طولون الحربي، واعتقدت فرنسا أن الاحتلال للبلاد قد تحقق، فبمغادر الداي اشتعل فتيل المعركة وتسارع الناس للجهاد، فبدأت المقاومات الشعبية تأخذ مكانها بإمكانيات بسيطة تفتقر الى التنظيم والإعداد، ومع ذلك لاقت فرنسا دروسا خالدة في الشجاعة والفداء، فكان احمد باي في الشرق والأمير عبد القادر في الغرب الذي دخل الاحداث من بابها الأوسع بتحمل مسؤولية الجهاد واثقال الإمارة[3]

ثانيا: صفاته

لقد حظي الأمير عبد القادر بوصف العديد مما اتصل ببهم وتعرف عليهم او تعامل معهم، فكانوا في مجمله يشيدون بخصاله ويفتخرون بسجيته، ويقدرون مواقفه ويعتزون ببطولته، وهذا مما يتطلب منا في

[1] يحي بوعزيز، الأمير عبد القادر رائد الكفاح الجزائر، الدار العربية للكتاب ،الشركة الوطنية للنشر والتوزيع ،تونس، 1983، ط 3 ، ص 42-43.

[2] عبد الرزاق بن سبع، الأمير عبد القادر الجزائري وأدبه ، مرجع سابق، ص 17.

[3] المرجع نفسه، ص 18.

إطار رسم صورة صادقة ومعبرة لهذه الشخصية المتميزة[1]. لقد وصف العديد من المؤرخين الأذواق والعادات والسلوك الاجتماعية للأمير عبد القادر منها:

كان يرتدي الترف من الملبس، فكانت كسوته بسيطة ولكنها نظيفة كانت غايته في التدين ويحمل دوما مسبحة لا يتوقف عن التسبيح بها ذاكرا الله، كان باستطاعته امتطاء الفرس لمدة يوم او يومين

كان زاهدا مثاليا، كان الأكل عنده على الاكثر رويبة وهي نوع من أنواع العصائد مصنوعة من الطحين والحليب في كمية صغيرة، وما كان يقبل الطعام إلا لقوته وليس لذاته (في قلة وفرة للصحة هذا ما كان يقوله).[2]

كان الأمير رجلا معتدل القامة وعظيم والهمة وممتلئ الجسم وأبيض اللون ومشربا بحمرة، وأسود الشعر وكث اللحية، وأنقى الانف اشهل لعينين يخضب بالسواد. وكان عاكفا على شهود صلاة الجماعة في اوقاتها يلازم صلاة الفجر في المسجد.[3] لم يكن قاسيا بطبعه وخيرات الأرض لم تسيطر على قلبه، وقتاله للمسيحيين لكونهم معتدين غاصبين لا لدينهم، كان يأمر جنوده للصلاة يوميا، وكان يتأمل في معاني القرآن الكريم وكان يستلهم الصلابة والثبات والصمود من ايمانه العميق والمنهج الرباني في العسر وفي السير والنشط والمكره والرخاء والشدة[4]أما فيما يخص تصرفاته ومعاملاته فقد جمع الامير عبد القادر فيها بين اخلاق العالم وتصرفات البطل وسلوك زعيم الجماعة وشيخ الطريقة؛ فالأمير عبد القادر كان متمسكا بتقاليد اسرته معروف بطاعته لوالده.[5]

[1] عبد الرزاق بن سبع ، الأمير عبد القادر الجزائري ، مرجع سابق، ص 14.

[2] اسماعيل العربي، الأمير عبد القادر الجزائري مؤسس دولة وقائد جيش، المؤسسة الوطنية للفنون المطبعية، الجزائر، 1984، ص 7.

[3] نصر الدين سعدوني، عصر الامير عبد القادر الجزائري، مرجع سابق ، ص 180.

[4] نزار أباضة، الأمير عبد القادر العالم المجاهد، دار الفكر، سوريا، 1994، ط1 ، ص103-104.

[5] عبد الرزاق بن سبع، الأمير عبد القادر الجزائري وأدبه ،مرجع سابق، ص 181.

المطلب الثالث : وفاته

نشأ الأمير في صحة كاملة ، وعافية شاملة ، لم يتغير عليه في أيام شوبتيه وكهولته ، شيء من قوته ، ولا من أحواله ،ثم عرضت له أمراض حال شيخوخته ، فتلقاها بقوة القلب ،وحسن البصر ،ولكثرة الأدوية وتعاقبها مع اختلاف موادها ،حدثت له أمراض أخري. من أشدها ،ورم في خصيتيه ،يمنعه من الإسراع في المشي.[1]وفي بداية شهر ماي 1883م حيث انه كان معتكفا داره يتهجد ويتبتل لربه أشتد عليه مرض المثاني ،فزاده الضعف والهرم.[2]حيث عرض علي جماعة من الاطباء في دمشق يتناوبون لمعالجته صباحاً ومساءاً ،ومع ما كان يقاسيه من شدة الألم ويعانيه في معالجته، لم يظهر ضجراً، ولا يترك الصلاة في وقت من الأوقات وفي أخر مرضه كان قليل الكلام ،إلي أن دعاه مولاه ،إلي سعة رحمته ونقله إلي فسيح جنته في السابعة من ليلة يوم السبت 19من رجب 1300هـ الموافق 24ماي 1883م[3]،عن عمر يناهز 76سنة وهو قضاه في الجهاد ضد الاستعمار وفي العبادة وطلب العلم ففاز في الدنيا ولأخره.[4]

لم يشعر الناس إلا والصياح قد قام والعويل عم الخاص والعام ،فيالها من ليلة سوداء ، شقت فيها الجيوب ،وكادت تنفطر من شدة هولها . الأكباد والقلوب ،وفي حال شاع خبر وفاة الأمير عبد القادر فاهتزت دمشق لخبر وفاة الأمير عبد القادر بعموم أهلها ،وبعد تجهيز الأمير عبد القادر والصلاة عليه في جامع بني أميه حملت جنازته إلى الصالحية ،يحفها سائر علماء البلد وأشراف حكامها[5]

وبقي جهاد الأمير عبد القادر شعلة تنير الطريق في الجزائر أثناء فترة الاستعمار ،فشارك ابنه محي الدين في ثورة المقراني عام1871م وناضل حفيده خالد بن الهاشمي ضد الاستعمار الفرنسي بعد الحرب العالمية الاولي ،ويبقي الأمير واحداً من عظماء الجزائر الذين صنعوا استقلالها ومجدها وثورتها

---

[1] محمد بن عبد القادر الجزائري ،تحقيق ممدوح حقي، تحفة الزائر في تاريخ الجزائر والأمير عبد القادر ،دار اليقظة العربية ،ط2، 1964،لبنان ،ج2 ،ص 856.

[2] علي محمد الصلابي ،سيرة الأمير عبد القادر ،مرجع سابق ،ص 363 .

[3] محمد بن عبد القادر ، تحفة الزائر في تاريخ الجزائر والأمير عبد القادر ،مرجع سابق ،ص 856.

[4] رابح لونيسي ،بشير بلاح ،العربي منور ،تاريخ الجزائر المعاصر 1830\1989، دار المعرفة ،الجزائر ،2010 ، ج2 ، ص 74.

[5] ينظر: محمد بن عبد القادر الجزائري ،تحفة الزائر في تاريخ الجزائر والأمير عبد القادر، ج2 ،مرجع سابق ،ص 857.

العملاقة.[1]نقل رفات الأمير عبد القادر إلى الجزائر عام 1966م وفي احتفال شعبي وسمي نقلت رفات الأمير عبد القادر ، وهو في الواقع ليس رفات بل تراثا ،من دمشق إلي مدينة الجزائر البيضاء بعد أن أصبحت دار سلام يرفرف في سمائها واية الاستقلال ،ليروي في ترابها الذي روته في دماء جروحه .[2]

وبعد الاستقلال اتخذت صورة عبد القادر الأمير رمزاً للدولة الجزائرية فكانت توضع علي الأوراق النقدية .[3]ووضع له تمثال بالعاصمة ليبقي عالقا في ذهن الجيل الصاعد كواحد من عظماء الجزائر الذين صنعوا استقلالها ومجدها وثورتها العملاقة التي صنعت الجزائر المستقلة.[4]

[1]رابح لونيسي، بشير بلاح ، العربي منور ،تاريخ الجزائر المعاصر 1830\1989 ،ج2 ،مرجع سابق ،ص 74.

[2]الأميرة بديعة الحسني الجزائري، الأمير عبد القادر حقائق ووثائق بين الحقيقة والتحريف ،دار المعرفة ، الجزائر ،2008 ،ص 353.

[3]بشير بلاح، تاريخ الجزائر المعاصر، مرجع سابق ،ص 182 .

[4]المرجع نفسه، ص 183.

المبحث الثالث : أراء العلماء والباحثين حول شخصية الأمير عبد القادر

يعتبر الأمير عبد القادر من أهم وأعظم الشخصيات التي عرفتها الجزائر خلال القرن 19م ، نظراً لدور الذي لعبه في مقاومته للاستعمار الفرنسي وفي إعادة بعث وإحياء الدولة الجزائرية الحديثة .

ورغم ما كتب عنه وما سيكتب عنه فإننا كباحثين لن نصف الرجل حقه ، حيث جمع بين السيف والقلم وبين الفقه والسياسة وبين الحرب والدهاء السياسي ، وبين التصوف المدنية القائمة علي فكرة الدولة وتسير الحكم فيها .[1]

وعليه سوف أعرض بعض الآراء باحثين وعلماء حول شخصية الأمير عبد القادر حيث أنه ترك لنا ثراء عظيما في العمق الذي تركه لنا الأمير في آثاره ومصنفاته من منطلق رقيق وأخلاق رفيعة وتصور بارع .

المطلب الأول :أراء شخصيات عربية

شهدوا المؤرخون والعلماء من أمثال مفتي المالكية العلامة محمد عليش وولده الشيخ الأزهري عبد الرحمن عليش، والعلامة عبد الرزاق البيطار وحفيده الشيخ محمد بهجة البيطار والعلامة جمال الدين القاسمي ،ومفتي الحنابلة الشيخ محمد جميل الشطي ،وأخرون كثيرون شهدوا للأمير بالفضل والديانة والغيرة علي الإسلام وأشادوا بحرصه علي إقامة أحكام الشريعة وحدودها وسيع الحثيث لنشر علوم الدين، كان للأمير دوراً كبير في إحياء وتجديد فريضة الجهاد.[2]المالكما

1 . الحسن بن عزوز : يقول في رسالته لأحمد باشا التونسي " أن الأمير صاحب ولاية وما هو إلا رجل عدد، نقي طاهر يصوم النهار ويقوم الليل منصف وفحل ، وهو على نفسه ولا تأخذه في الله لومة لائم."[3]

[1] قاصري محمد السعيد ،دارسات وأبحاث في تاريخ الجزائر المعاصر 1830\1962، مرجع سابق ، ص 78.

[2] علي محمد الصلابي ، سيرة الأمير عبد القادر ،مرجع سابق ،ص 307.

[3] ينظر: ألمختار حساني ،ثورة الأمير عبد القادر من خلال مخطوطات ،دار الحكمة ، الجزائر ،2007، ص 19.

2 . الملك فيصل :ملك العراق سنة 1920م كتب ملاحظة لكاتب فرنسي يدعي "ديسنا يورسانتران" [يعد الحاج عبد القادر واحدا من أكبر رجالات الإسلام وأكثرهم مدعاة للاحترام وأجدرهم بتقدير الإسلام وإجلاله.][1]

3. محمد البشير ظافر الأزهري: قال عنه [الإمام الواحد والعلم الفرد عالم الأمراء وأمير العلماء.]

4 . محي الدين الطعمي : [الأمير عبد القادر .....القطب الرباني والهيكل الصمداني ..... العارف بالله .....]

5 . الحاج مصطفي بن التهامي : [السيد الجليل العافف ...الناسك العالم العامل الزاهد المتورع.]

6 . يوسف بن إسماعيل النبهاني :[هو الإمام العارف ....كان من أكبر العارفين بالله تعالي مع الأخلاق المحمدية والكمالات الدينية والدنيوية.][2]

[1] ينظر :علي محمد الصلابي ،سيرة الأمير عبد القادر ،مرجع سابق ،ص381.

[2] فضيلة بلدي عثمان ، المنهج الصوفي عند كل من النفري والأمير عبد القادر من خلال كتابهما "المواقف " ، مرجع سابق ، ص88.

المطلب الثاني : شهادات شخصيات أجنبية

1 . الكولونيل الإنجليزي اسكوب : يقول إن أعظم الشخصيات في العالم الإسلامي في العصر الحاضر هما:[شخصية محمد علي وشخصية الأمير عبد القادر.]

2 . جاك بيرك :المفكر الفرنسي يقول :[إنه أكثر من قائد سياسي . ديني إنه يحرك مبدأ الوطنيات الرومنطيقي ،ويجمع في شخصية الفروسية البدوية والهام الإسلام وديناميكية القرن التاسع عشر.]

3 . دوفيقي :الجنرال الفرنسي الذي حاربه يقول :[إن القوة الحقيقية لعبد القادر ،القوة التي تقاومنا لها جذوره في فكره ...إن قد وضعت ثقتها إن عبد القادر كان أميراً، لأن الحرية قد وضعت ثقتها فيه إن الحرية أعطته سيفها ....أنه كان رجل التاريخ ،إن الحرية سوف لن تنساه إنها ستردد اسمه.][1]

4 . يوهان كارل بي رنت الألماني : الذي أصبح من المقربين له يقول :[أن الأمير عبد القادر جمع بين الدهاء العربي والشجاعة الحربية والطموح ولكنه يتسم بالحلم والعدل علي قدر ما تسمح به مواقفه وتطلعاته ، وهو يحيا من الوجهة الدينية حياة ورعة متمسكاً بالعادات .ويؤكد سلوكه في كل مناسبة مدي تسامحه وخلوه التام من الأحكام المسبقة علي من يخالفه في الرأي،كان يشعر في نفسه على ما يظهر القدرة على أن يعيد للهلال من غلبة وعظمة ،يعيش عيشة أكثر بساطة وتواضعا من معيشة العربي لا يرتدي أبدا ألبسة مذهبة أو مفضضة .] [2]

5 . تشرشل : المؤرخ البريطاني يقول :[عجب الفرنسيون من شجاعة عبد القادر وسرعة اختفائه، فكأنه يطير في الهواء.][3]

6 . النقيب كلير: يقول عنه [إن الحملة التي قام بها هذا الأمير أثارت إعجاب كل العسكرين الذين ينحنون بالرغم عنهم أمام هذه العبقري .][4]

---

[1] عمار عموره ،تاريخ الجزائر المعاصر 1830.1989،مرجع سابق،ج2،ص310.

[2] مختار حساني،ثورة الأمير عبد القادر من خلال ثلاثة مخطوطات،دار الحكمة، مرجع سابق، ص19.

[3] علي محمد الصلابي، كفاح الشعب الجزائري ضد الاحتلال الفرنسي وسيرة الأمير عبد القادر، مرجع سابق،ص 380.

[4] المرجع نفسه، ص 505.

7 . لورانس كايف : المؤرخ الإنجليزي كتب عنه:[إن سمعة الأمير قد أصبحت أوروبية منذ 1835م وهذا الإعجاب بعبقرية الأمير الحربية ووطنية الفياضة .][1]

8 . القائد سولت :[إن الأمير يستحق عن جداره وتقدير قوه لقب العظيم لتخليده ذكراه دوليا.][2]

9 . الحبر باقي : بعث رسالة إلى الأمير عبد القادر في 10\8\1860م يعبر فيها عن إعجابه بسموه وبموقفه الجريء، الشجاع لحماية المسيحين قائلا له:[ما قمتم به من أجل المسحين في المشرق بفضل العناية الربانية جعلكم تحتلون من الآن فصاعداً مكانة في الصف الأمامي لكبار رجلات هذا القرن وكبار المتسامحين والمدافعين عن العدالة وعن الإنسانية.][3]

10. فاليوت :يقول [عدو كريم الأخلاق فأن كان أسيرا عنده أثني عليه.][4]

[1] علي محمد الصلابي ،سيرة الأمير عبد القادر ،مرجع سباق ،ص 380.

[2] مسعود مجاهد الجزائري ،تاريخ الجزائر ،ج1 ، مرجع سباق ،ص 149.

[3] ينظر: دوان بوعفالة ،الأمير عبد القادر عبقري زمان والمكان ،مكتبة الرشاد للطباعة والنشر ،الجزائر ،2014،ص 74.

[44] بركات محمد مراد، الأمير عبد القادر المجاهد ،مرجع سابق ،ص 21.

المطلب الثالث: أثاره العلمية

أولا: مؤلفاته

ظهرت ثمار الأمير عبد القادر مما تركه لنا من مؤلفات في علوم شتى وفنون متنوعة تشهد له بالعلم، وهذه قائمة كتبه إلى تنقسم إلى قسمين نثرية وشعرية:

1. الآثار النثرية

- تعليقات على حاشية جده عبد القادر المعروف بن خدة في علم الكلام: دون الأمير هذه التعليقات على حاشية جده في المرحلة الاولى من حياته بعد عودته من المشرق بعد تأديته للحج عام 1243-1828 هذا يدل أن الأمير كان متمكنا من علم الكلام.
- كتاب ذكر العاقل وتنبيه الغافل: ألفه الأمير سنة 1271هـ ونشره ابنه محمد باشا في مطلع العشرين، وهي رسالة في فوائد العلم والدين والاخلاق وفن الكتابة.
- المقراض الحاد (لقطع لسان منتقد دين الاسلام بالباطل والالحاد) وهو اشبه برسالة تصدى فيها الامير عبد القادر للتدليل بحجة دامغة وادلة منطقية عقليا وكونيا على وجود الله سبحانه وتعالى خالق هذا الكون[1]
- رسائل أخرى واجابات متعدد في مختلف الاغراض وشتى الفنون وعديد المشاكل العلمية وغيرها
- كتاب المواقف وهو اهم كتاب ألفه الأمير ويقع فيه ثلاثة أجزاء، والكتاب يشمل تفسير لبعض آيات القرآن الكريم وشرح للأحاديث الشريفة[2]
- مذكرات الأمير عبد القادر: هو عمل أدبي يتلقى فيه التحرير الشخصي للأمير مع الإنشاء الجماعي حيث ترك الإشراف لإنجاز هذا العمل لصهره وصديقه مصطفى بن التهامي، وقد كتب الأمير هذه المذكرات تلبية لرغبة بعض المترددين عليه من المثقفين والمستشرقين؛ حيث شرح الأمير من خلال هذه المذكرات واقعه وحياته وعالج بصراحة تعداده للعراقيل التي واجهته وظاهرة التباعد بين الضمير

[1] فضيلة بلدي عثمان، المنهج الصوفي عند كل من النفري والأمير عبد القادر من خلال كتابهما "الموقف "، مرجع سابق ، ص87.

[2] يحي بوعزيز، الامير عبد القادر رائد الكفاح الجزائري، مرجع سابق ،ص 132.

السياسي الوجودي الذي تبناه وكافح لأجله، وسلوك التشتت والعصبية والأعداء والعملاء مبرراً مدى تقيده في معاملته.

كما شرح فيه عدداً من المبادئ السياسية بالإضافة إلى المبادئ الدينية كنظرة الدين والعقيدة الإسلامية وموقفها من المسيحية.[1]

2. **الآثار الشعرية:** تقترب الفروسية دائما من الشعر ولهذا كان الامير عبد القادر رب سيف وصاحب شعر، رائق في نفس الوقت تطرب له الاسماع وتستهوي الألباب، حيث بدأ عبد القادر في قرض الشعر منذ الصغر وبرز في ذلك وهو لايزال دون الخامسة والعشرين من عمره. إذ الشعر كان بالنسبة للأمير وسيلة لتخليد البطولة وإذكاء الحماس عند المجاهدين في ميدان القتل ووسيلة للتعبير عن الأحاسيس والجمال.[2]

ومن آثاره الشعرية نذكر الآتي:

- الديوان وهو أكبر أثاره الشعرية ولم ينظم هذا الديوان في فترة زمنية معينة ولا في بقعة جغرافية محدودة بل نظم على فترات منقطعة، فقد رافقت حياة الامير منذ شبابه في الاراضي الجزائرية الى وفاته في دمشق.

وقد رتب الديوان تبعاً لفنونه في الطبعة الأولى، فإذا هي خمسة: الفخر والغزل والمساجلات، والمناسبات والتصوف ومن هنا كانت ترتيب الديوان ترتيباً موضوعياً والأمير في قصائده في الديوان طرق كل أبواب الشعر من المدح والعتاب والفخر والتوسل والشوق والتغزل والتهنئة والمطارحة وما إلى ذلك من أغراض الشعر.

وعلى كل حال فالديوان يعطينا صورة واضحة عن قيمة الأمير الأدبية وقوته الشعرية ومقدرته الفنية في الفخر والحماس والمدح والتغزل والتصوف وغيرها.[3]

- نزهة الخاطر في قريض الامير عبد القادر: فيه شعر الامير قام بجمعه ولده الأمير محمد، حيث عمد على جمع القصائد الواردة في اخر مقدمة كتابه المواقف، في بعض اشارات القرآن الكريم

[1] عائشة بن ساعد، البعد الروحي المقاومة الامير عبد القادر الجزائري ،مرجع سابق ، ص117.122

[2] المرجع نفسه، ص 143.

[3] بركات محمد مراد، الأمير عبد القادر الجزائري،مرجع سابق ، ص48.

هذا مجمل ما ألفه الامير في حياته السفيه والعلمية، أذ دلت هذه المؤلفات على عبقرية الأمير في فنون وعلوم شتى من سياسة وفلسفة وتوحيد وكلام وتصوف وهذا ما جعله شخصية عالمية.[1]

[1] فضيلة بلدي عثمان، المنهج الصوفي عند كل من النفري والأمير عبد القادر من خلال كتابهما "المواقف"، مرجع سابق، ص87

الفصل الثاني

المنهج الدعوي ومعالمه عند الأمير عبد القادر

المبحث الأول: جهاد الأمير عبد القادر

المطلب الأول: البيعة وتنظيمات دولته

تمهيد

الجهاد بالدعوة الى الله هو أساس الجهاد وعماده والذي استغرق من حياة الرسول "صلى الله عليه وسلم". الفترة الأولى، وهو الجهاد الماضي الى يوم القيامة والمستمر في كل الظروف والاحوال، هذا ما قاله البوطي في كتاب الجهاد في الاسلام.[1]

كثيرا ما يختلط عند الناس مفهوم الجهاد بالقتل والمرابطة فقط، بينما الجهاد هو البذل الواسع وتحمل المشقة سعادة بما يحملها من معاني قدسية روحية قد تتحقق في السلم أو الحرب على حد سواء، كما يتبين في القرآن الكريم قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ ٱنفِرُوا۟ خِفَافًا وَثِقَالًا وَجَٰهِدُوا۟ بِأَمْوَٰلِكُمْ وَأَنفُسِكُمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ۚ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٤١﴾ ﴾[التوبة: 41]

وقال أيضا:﴿ فَلَا تُطِعِ ٱلْكَٰفِرِينَ وَجَٰهِدْهُم بِهِۦ جِهَادًا كَبِيرًا ﴿٥٢﴾ ﴾[الفرقان:52]
فالجهاد إذا جزء لا يتجزأ من الإيمان.[2]

ومعنى الجهاد في الإسلام أيضا ليس هدفا في السيطرة والقتل، فقد كانت الفتوحات الإسلامية تهدف إلى نشر الشريعة المباركة بالموعظة الحسنة والعدالة والمساواة من دون إكراه في الدين[3]

قَالَ تَعَالَىٰ:﴿ وَقَٰتِلُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ٱلَّذِينَ يُقَٰتِلُونَكُمْ وَلَا تَعْتَدُوٓا۟ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْمُعْتَدِينَ ﴿١٩٠﴾ ﴾[البقرة:190]وبذلك فرضت الضرورة على الأمير عبد القادر إعلان الجهاد خاصة في الإطار الفكري الذي تحكمه النخوة الدينية المتمثلة للقوة الأساسية وراء العمل السياسي والعسكري،وكان الأمير عبد القادر مؤمنا بأن الدين هو العنصر الوحيد على إعطاء الفعل والتصرف

[1] هشام عليون وفادي الغوش ، البوطي الدعوة والجهاد والإسلام السياسي ،مركز الحضارة لتنمية الفكر الإسلامي ،ط1، لبنان ،2012،ص 107-108.

[2] عائشة بن ساعد، البعد الروحي لمقاومة الأمير عبد القادر ،مرجع سابق ،ص 264.

[3] الأميرة بديعة الحسني الجزائري ،فكر الأمير عبد القادر الجزائري حقائق ووثائق ،دار الفكر ،ط1،دمشق ،2000 ،ص 144.

الإنساني (كالمقاومة) أبعادها الحقيقية واتجاهاتها الصحيحة والمقابلة لهذا استمد الأمير شرعية القيادة من جميع المؤمنين الذين اعتبروه المدافع الأول عن الإسلام[1].

كان الهدف الأسمى للأمير عبد القادر هو أن يجعل الجزائريين شعبا واحدا باستمالتهم إلى المبادئ الإسلامية واستدعائهم إلى فضائل أهل القرون الأولى من الهجرة وإيقاظهم من الغفلة، فقد كانت المعارك الجهادية بالنسبة للأمير عبد القادر صراعا بين الخير والشر والعدالة والظلم، وأن إيمان وإخلاص الأمير عبد القادر جعله يقدم كافة التضحيات ولا يتردد في ذلك أبدا مهما كان الثمن لدرجة أنه كان لا ينام ولا يغمد سيفه لأسابيع طويلة وكان يعتقد أن الساعة الواحدة في قتال الكفار أحسن من المكوث في مكة سبعين سنة، ولذلك كان هدفه الأسمى إعادة الأمة المجاهدة المحاربة للوجود والمعتمدة على الجيش النظامي وجعل الجهاد يحتل مرتبة عظيمة.[2]

أولا: البيعة

تعريف البيعة:

لغة: نقول باعه يبيعه بيعا ،ومبيعا والقياس مباعا إذا اشتراه، والصفقة علي إيجاب البيع وعلي المبايعة والطاعة.[3]

اصطلاحا:

ابن خلدون: البيعة على أنها العهد على الطاعة لولي.

وعرفت كذلك على أنها أخذ العهد والميثاق، والمعاهدة على إحياء ما أحياه الكتاب والسنة وإقامه ما أقامه.[4]

وللبيعة معنيان أساسيان في القرآن الكريم، البيعة المشهورة بيعة الرضوان تحت الشجرة وفيها تمت مبايعة الرسول من قبل 1300 الى1400 من المسلمين الذين أرادوا تأدية مناسك العمرة في ذي

[1] عائشة بن ساعد ، البعد الروحي لمقامة الأمير عبد القادر ،مرجع سابق ،ص 265.

[2] المرجع نفسه ،ص268-269.

[3] أحمد محمود ال محمود ،البيعة في الإسلام تاريخها وأقسامها بين النظرية ،دار الرازي ، البحرين، د.ت ،ص 19.

[4] علي بن محمد الصلابي ،كفاح الشعب الجزائري ضد الاحتلال الفرنسي وسيرة الأمير عبد القادر ،دار المعرفة ، ص 368.

القعدة في 6 هـ والتي جاء النص فيها،قَالَ تَعَالَىٰ:﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يُبَايِعُونَكَ إِنَّمَا يُبَايِعُونَ ٱللَّهَ يَدُ ٱللَّهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ ۚ فَمَن نَّكَثَ فَإِنَّمَا يَنكُثُ عَلَىٰ نَفْسِهِۦ ۖ وَمَنْ أَوْفَىٰ بِمَا عَٰهَدَ عَلَيْهُ ٱللَّهَ فَسَيُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا ﴿١٠﴾﴾[الفتح: 10]،والبيعة الثانية وهي الجهاد، قَالَ تَعَالَىٰ:﴿ ۞ إِنَّ ٱللَّهَ ٱشْتَرَىٰ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ أَنفُسَهُمْ وَأَمْوَٰلَهُم بِأَنَّ لَهُمُ ٱلْجَنَّةَ ۚ يُقَٰتِلُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ فَيَقْتُلُونَ وَيُقْتَلُونَ ۖ وَعْدًا عَلَيْهِ حَقًّا فِى ٱلتَّوْرَىٰةِ وَٱلْإِنجِيلِ وَٱلْقُرْءَانِ ۚ وَمَنْ أَوْفَىٰ بِعَهْدِهِۦ مِنَ ٱللَّهِ ۚ فَٱسْتَبْشِرُوا۟ بِبَيْعِكُمُ ٱلَّذِى بَايَعْتُم بِهِۦ ۚ وَذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴿١١١﴾﴾ [التوبة:111]ومن هنا نستنتج أن البيعة مرتبطة بالمبايعة المشتقة من البيعة.[1]

أولا: مبايعة الأمير عبد القادر:

1. البيعة الأولى :

بعد انسحاب قوات محي الدين من ضواحي وهران بتاريخ 1832م تأزم الوضع الأمني في المقاطعة الغربية وساءت الأحوال الاجتماعية فيها، اجتمعت قبائل سهل "غريس" واتفقت على إسناد القيادة إلى محي الدين مجددا [2]،وذلك للجهود العظيمة التي بذلها السيد محي الدين للتصدي للغزوات وقيادة القبائل للجهاد في سبيل الله، ولكنه اعتذر لكبر سنه ودفع المواطنين في التفكير في مبايعة ابنه عبد القادر لقناعته بقدرته[3]، كان محي الدين مقتنعا في كفاءة ابنه ومن أسباب اختيار محي الدين لعبد القادر دون باقي أولاده، أنه سأله بعد اقتراح زعماء غريس "كيف ستحكم بالعدل والحق بين الناس عندما تصبح زعيمهم" فأجابه عبد القادر "سأحمل عصا من حديد وكتاب الله وسنة رسوله" فابتسم الوالد واطمأن"[4] وهكذا انحنى محي الدين لمشيئة الله وتحت وطأة العمر وطلب من الجميع اختيار ابنه عبد القادر سلطان بديلا عنه، وبتاريخ 24 نوفمبر 1832 م عقد مؤتمر تحت شجرة الدرداوة حضره رؤساء قبائل بني عامر وبني مجاهر والغربة وبايعوا عبد القادر بسلطته. ولقبوه "بناصر

[1] زعيم خنشلاوي ،إذ يبايعونك تحت الشجرة ،وحدة الرغاية ،الجزائر ، 2011،ص 39 .

[2] أديب حرب ، التاريخ العسكري والاداري للأمير عبد القادر الجزائري ،ج 1، دار الرائد ، ط2 .2004،ص 85.

[3] علي بن محمد الصلابي ،كفاح الشعب الجزائري ضد الاحتلال الفرنسي وسيرة الأمير عبد القادر ،مرجع سابق ،ص309.

[4] ينظر : عائشة بن ساعد ، البعد الروحي لمقاومة الأمير عبد القادر ،مرجع سابق ،ص 226.

الدين"وكان عمره حينئذ 24 سنة. ومع مبايعة الأمير عبد القادر بدأت مهمتة السياسة العسكرية طريقها الطويل نحو توحيد البلاد.[1]

وبعد المبايعة خرج الأميرإلى المسجد فصلى الظهر بالناس وقرر في خطبته برنامجه القائم على القرآن والسنة والمتمثل فيما ما يأتي :

1السمع والطاعة .

2 الثبات على الجهاد لإعلاء كلمة الله ودينه.

3 الكفاح ضد العدو دفاعا عن الوطن .[2]

وقد احتوت خطبة البيعة الأولى على عدد من المواضيع الهامة التي تتعلق بأسس الحكم في دولة الأمير عبد القادر، وفيما يأتي سنلخص عددا من تلك المواضيع: [3]

1. رغبة الأمير في تطبيق الشريعة الإسلامية والأخذ بالعدالة والحق
2. البيعة بمفهومها تعني قيام دولة
3. اختلاف حكمه عن حكم الاتراك
4. حرصه على أموال الدولة
5. التأكيد على تحرير الاراضي الجزائرية ويتطلب وجود قائد ينظم الجهاد ويتطلب أيضا وقوف الشعب بجانبه
6. ضرورة بناء الدولة وتقويم النظام واستباب الامن
7. التحذير من شق عصا الطاعة.

2. **البيعة الثانية** :أرسل الأمير الوفود والرسائل إلى بقية القبائل والأعيان الذين لم يحضروا البيعة لإبلاغهم بذلك، ودعوتهم إلى مبايعته، وأسوة بمن أدى واجب الطاعة، فلبى الجميع النداء وهرع الناس وبدأت الوفود تتوالى لأداء واجب البيعة للأمير الثانية وانعقد بذلك مجلس عام حضرته

[1] أديب حرب ، التاريخ العسكري والاداري للأمير عبد القادر الجزائري، مرجع سابق ، ص 87.

[2] عائشة بن ساعد ،البعد الروحي لمقاومة الأمير عيد القادر ،مرجع سابق ،ص 288.

[3] عبد الرزاق بن سبع ، الأمير عبد القادر الجزائري وأدبه ،مرجع سابق ،ص 23.

جماهيرعريضة من أفراد الشعب، يتقدمهم الأعيان والأشراف وزعماء القبائل والعشائر[1]، حيث وقعت البيعة الثانية في 13 رمضان 1248 هجري الموافق ل 4 فبراير 1833م[2]. وفيها انتقلت السلطة الجزائرية إلى الأمير عبد القادر ليس عن طريق الوراثة أو التعيين وإنما عن طريق الانتخاب والبيعة ورضا الأهالي. وبذلك تعتبر سلطة الأمير سلطة شرعية قانونية لأنه قد وضع بهذا الاجراء الحجر الاساسي لبناء دولة الجزائر المعاصرة على أسس ثابتة وقواعد سليمة.[3]

نلاحظ أن البيعة الأولى والثانية للأمير عبد القادر تمت دون أن يكون هناك رأي لكل أهل غريس، إنما تمت باجتماع شيوخ سهل "غريس" واختيارهم عبد القادر سلطانا عليهم.[4]

ثانيا :تنظيمات دولته

بعد المبايعة الثانية رأي الأمير من الضروري تنظيم دولته إداريًا وعسكريًا ،وتوحيد صفوف الشعب الجزائري في كنف دولة حديثة في إطار المبادئ الإسلامية ،وتوجيهه نحو الهدف الأسمى ألا وهو "الجهاد في سبيل الله".[5]

وقد كانت مرحلة الهدوء والاستقرار في البلاد فرصة للأمير لتأسس دولة وانشاء مؤسساتها وتمكن بفضل حكمته وقوته العسكرية في ترسيخ مبادئ العدالة والمساواة وتوفير الموارد المالية الضرورية لمختلف الأجهزة للقيام بالمهمات المنوطة بها ،حيث سعي الأمير إلى تجنب أخطاء الحكم التركي الذي جعل ممثله في الجزائر عرضة للخطر وكراهية الناس، فعمل في بناء إمارة أساسها الإخلاص للحاكم وثقة المحكومين.[6]حيث اتخذ الأمير عبد القادر معسكر عاصمة لدولته ومقرا لحكمه.[7]

والموقع الجغرافي لدولة الأمير عبد القادر يتمثل في رقعة جغرافية تقع في الشمال الغربي للجزائر وتمتد من الحدود مع المغرب إلى الحدود مع بايلك الشرق ،حيث تتربع دولة الأمير علي مساحة واسعة

[1] عبد الرزاق بن سبع ،الأمير عبد القادر الجزائري وأدبه ،مرجع سابق ،ص 23.

[2] محمد بن عبد القادر الجزائري ، تحفة الزائر في تاريخ الجزائر والأمير عبد القادر ،مرجع سابق،ص165.

[3] ابراهيم المدني ، المقاومة الشعبية ،دار المدني، الجزائر ، 2009،ص 17.

[4] ينظر: ديب حرب ،تاريخ العسكري والاداري للأمير عبد القادر الجزائري، ج 1 ،مرجع سابق ،ص 88.

[5] إبراهيم مياسي ، المقاومة الشعبية ،مرجع سابق ،ص20.

[6] ينظر: أديب حرب ،التاريخ العسكري والإداري للأمير عبد القادر الجزائري ، ج2، مرجع سابق ، ص 40.39.

[7] ابراهيم مياسي ، المقاومة الشعبية ،المرجع السابق، ص 20.

تشكل أكثر من 70%من مساحة شمال الجزائر،[1]حيث اتخذ الأمير عبد القادر علمًا لدولته الناشئة تدعيمًا لنفوده وسلطته.[2]فكانت راية الأمير عبد القادر من كتان الحرير أعلاها وأسفلها خضراوان ، أما لون القسم الأوسط أبيض رسمت فيه يد مبسوطة وكتب حولها بشكل دائري عبارة: "نصر من الله فتح قريب ،ناصر الدين عبد القادر بن محي الدين،"والرسم والكتابة كلاهما مطرزان باللون الذهبي" .[3]

[3].

التنظيم الإداري والعسكري لدولة الأمير عبد القادر:

1 . التنظيم الاداري:لقد سمحت فترة السلام القصيرة التي أعقبت معاهدة التافنة للأمير عبد القادر بأن يضع اللينات الأولي لدولته 1837\1839م فأنشأ تنظيمًا إداريًا محكمًا يقوم على نظام المقاطعات ، وقدكان هذا التقسيم مفيدًا في وصول أوامر وتعليمات الأمير إلى القاعدة الشعبية .[4]

وقد اشتملت دوله الأمير عبد القادر في أول أمرها علي مقاطعتين رئيستين هما: خليفيك الشرق ومقره معسكر وخلفيك الغرب ومقرها تلمسان ، وبعدها تعددت المقاطعات وتوسعت دولة الأمير عبد القادر وانتظم أمرها.[5]

ثم تأتي بعد ذلك مقاطعات إدارية للدولة الأمير عبد القادر على أسس فيدرالية عين على رأس كل مقاطعة خليفة علي النحو الاتي :[6]

1 . مقاطعة تلمسان: وخليفته محمد البو حميديالولهامي .

2 . مقاطعة معسكر: وخلفته الحاج مصطفي بن أحمد التهامي.

3 . مقاطعة مليانة: وخلفته محي الدين علال القليعي ثم محمد بن علال.

---

[1]سهير حملاوي ، الجوانب الاقتصادية والاجتماعية في دولة الأمير عبد القادر الجزائري 1832\ 1847،مرجع سابق، ص 20.

[2]ابراهيم مياسي ،المقاومة الشعبية ،مرجع سابق ، ص 21.

[3]أديب حرب ،التاريخ العسكري والإداري للأمير عبد القادر الجزائري، ج2 ،مرجع سابق، ص40.

[4]سهير حملاوي ،الجوانب الاقتصادية والاجتماعية لدولة الأمير عبد القادر ،مرجع سابق، ص 26.

[5]ناصر الدين سعيدوني ، عصر الأمير عبد القادر الجزائري ، مرجع سابق ،ص 214.

[6]قاصري محمد السعيد ،دراسات وأبحاث في التاريخ الجزائر الحديث والمعاصر 1830\1962م ، مرجع سابق ، د.ت،ص 17.

4 . مقاطعة التيطري : وخلفته مصطفي بن محي الدين ثم محمد بن عيسي البركاني .

5 . مقاطعة مجانة : وخليفة محمد بن عبد السلام المقرابي ثم محمد الخروبي .

6 . مقاطعة الزابيان والصحراء الشرقية :وخليفته فرحات بن سعيد ثم الحسن بن عزوز ثم محمد الصغير بن عبد الرحمان بن أحمد بن الحاج .

7 . مقاطعة برج حمزة : وخليفته أحمد الطيب بن سالم .

8 . مقاطعة الأغواط والصحراء الغربية : وخليفته قدور بن عبد الباقي .

وكانت المقطعات أيضا مقسمة إلى دوائر وكل دائرة كانت تنقسم إلى وحدات إدارية صغيرة يحكمها قائدًا[1]

وقد أعتمد الأمير عبد القادر في تعين هؤلاء القادة على أسس جديدة وقواعد ثابته فكان يختار العالمين بمبادئ الإسلامي والشريعة والمتفوقين في ساحات القتال.[2]

وفي ظل التسلسل الإداري يقوم الأمير عبد القادر بإنشاء هياكل إدارية أخرى والتي تتمثل في السلطات التي أستخدمها الأمير في دولته والمتمثل في ما يأتي : السلطة التشريعية والسلطة التنفيذية والسلطة القضائية.[3]

كما أهتم الأمير عبد القادر في تنظم دولته بجانب الثقافي ،حيث عرفت إمارة الأمير عبد القادر بثلاث مراحل تعليمية وهي : الابتدائي والثانوي والعالي، وقد خص عبد القادر كافة المعلمين برواتب ثابته نقداً أو عيناً، ومنح الطلاب المتفوقين مبلغاً مالياً لمتابعة التحصيل في صفوف العالية، وعمل جاهداً لتأسيس المكتبات وجمع المخطوطات.[4]

واهتم الأمير عبد القادر بمراقبة الآداب والأخلاق العامة ،حيث استتب الأمن في أجاء دولته بفضل تنفيد أحكام القضاء بسرعة وقد منع أفراد الشعب من معاقرة الخمور وممارسة البغاء. وحرم التدخين

[1] عمار بوحوش ، التاريخ السياسي للجزائر من البداية ولغاية 1962، مرجع سابق ،ص 110.

[2] أديب حرب ، التاريخ العسكري والإداري للأمير عبد القادر الجزائري ، ج2، مرجع سابق، ص 53.

[3] قاصري محمد السعيد ،دارسات وأبحاث في التاريخ الجزائر الحديث والمعاصر 1830\1962،مرجع سابق ،ص 19.18.

[4] أنظر:أديب حرب ، التاريخ العسكري والإداري للأمير عبد القادر الجزائري ،ج2، مرجع سابق ،ص71.70.

ولعب الميسر خصوصاً في الجيش ،وكان كذلك يعاقب الرجال الدين يرتدون الثياب الأنيقة أو يتزينون بالذهب والفضة ،وقد اعتبار هذه المظاهر خاصة بالنساء .[1]

2 . **التنظيم العسكري** : اعتني الأمير عبد القادر بالشؤون العسكرية ، فكان له جيش دائم حقق له أهداف بالشؤون الداخلية والخارجية ، وحرص على حشد طاقاته البشرية والمادية في سبيل تحديث امارته واغنائها ، فنجح إلي حد بعيد بفضل الأمن الذي نعمت به مقاطعاته.[2]

كان جيش الأمير منظم وقد بلغ عدده في بعض الأوقات 15.300جندي .[3]

وقد أشرف الأمير عبد القادر بنفسه على الترتيبات الأولى لتنظيم الجيش ،وقد قسمه إلى ثلاثة أسلحة:

1 . الخيالة :وهم الذين يركبون الخيول .

2 . المشاة أو العسكر المحمدي : حيث يتشكل جيش المشاة من كتائب عدة يرأسهم أغا، وتضم كل كتيبة مجاهدين، وتتشكل الكتيبة من ثلاث وحدات صغير.

3 . المدفعية أو الرماة أو الطبجية: ويترأس الرماة قائد ،ويدير كل مدافع 12جندي.[4] اهتمام الأمير عبد القادر بجيشه المجند من قوات النظامية والغير النظامية، لمواجهة الجيش الفرنسي ، فعمل علي ترتيب وتنظيم جيشه ،فأتقن تنظيمه .

وقد شرع الأمير عبد القادر في إنشاء دولته ذات سيادة خاص على قاعدة شعبية وحدد أهداف التي يرمي إلي تحقيها من خلال تنظيم المقاومة الجزائرية أهمها:[5]

1 نشر الأمن وتأديب الخونة العصاة .

2 توحيد القبائل حول مبدأ الجهاد .

---

[1] المرجع نفسه، ص71-72.

[2] أديب حرب ،التاريخ العسكري والإداري للأمير عبد القادر ،مرجع سابق ،ص 72.

[3] يحي بوعزيز، الأمير عبد القادر رائد الكفاح المسلح ،مرجع سابق ،ص87.

[4] أنظر: ابراهيم مياسي ،المقاومة الشعبية، مرجع سابق ،ص 22-23.

[5] علي محمد الصلابي ، سيرة الأمير عبد القادر ، مرجع سابق ، ص 128.

3 مقاومة الفرنسين بكل الوسائل.

4 دفع الفرنسين إلي الاعتراف بالجزائر كدولة وبعبد القادر أميرا للبلاد.

المطلب الثاني: مقاومة الأمير عبد القادر

كان الصراع بين الاحتلال الفرنسي والأمير عبد القادر عنيفاً فالأول كان يعمل من أجل توسيع سيطرته علي الجزائر واحتلالها أما عبد القادر فكان يسعي لإيقاف الاحتلال وبناء دولة قوية قادرة على طرد المستعمر.[1]مما أدي إلى ظهور مقاومة الأمير عبد القادر في الجزائر.

دوافع مقاومة الأمير عبد القادر: ويمكن تلخيص دوافع الأمير عبد القادر إلى ما يأتي:[2]

1. احتلال فرنسا عاصمة الجزائر ومدن الساحلية الهامة ،خاصة عاصمة الغرب وهران .

2 . انتهاء السيادة العثمانية على الجزائر وسقوط الحكم العثماني ،وإشداد الحاجة إلى قيام سلطة جزائرية تقود الجهاد ضد الغزاة الفرنسين.

3 . الغيرة الشديدة على الإسلام والوطن .

4 . انتشار الفوضى في المناطق الغربية وحرص الأمير على توحيد القبائل وتنظيمها.

و مرت مقاومة الأمير عبد القادر بمراحل هامة من مراحل الكفاح المسلح ضد الاحتلال الفرنسي ، فبعد مبايعة الأمير عبد القادر في 24نوفمبر 1832م،شرع في بناء دولة حديثة فكان حياته مليئة بالإنجازات العسكرية والسياسية .ويمكن تقسيم مقاومة الأمير عبد القادر إلى ثلاثة مراحل وهي:

1 . **مرحلة الانطلاق والقوة 1832\1837**: ظلت المبادرة العسكرية في هذه المرحلة لصالح قوات الأمير عبد القادر ،أدي هذا إلي إبرام معاهدة تافنة "والتي سوف نتحدث عنها في المطلب الموالي" التي اعترف فيها الفرنسيون بدولة الأمير عبد القادر.وتمكن الأمير عبد القادر في هذه المرحلة علي مايأتي:[3]

1 . بسط نفوذه على مختلف القبائل وإخضاعها حتي يتسنى له مواجهة الفرنسين بجبهة قوية.

2 . اعتماد حرب العصابات .

---

[1] بشير بلاح ،تاريخ الجزائر المعاصر 1830-1889،ج1، مرجع سابق ،ص 176.

[2] المرجع نفسه، ص 73 .

[3] المرجع نفسه ، ص 76.

3 . معسكر عاصمة له واستلائه على ميناء أرزيو.

4 . بناء جيش نظامي وتوحيد اللباس لهم واصدار الأوامر والقوانين العسكرية الدالة على الانضباط والصرامة .[1]وتمكن الأمير عبد القادر في المرحلة الأولي من مقاومة الجيش الفرنسي واجباره علي التوقف، حيث عمد الأمير عبد القادر إلى فرض حصار على المدن الثلاثة: مستغانم وأرزيو ووهران .

مرحلة تنظيم الدولة: 1837\1839.

استغل الأمير عبد القادر معاهدة التافنة لتعزيز قواته العسكرية وتنظيم حكومته من خلال الإصلاحات الإدارية والعسكرية الآتية :

1 تشكيل مجلس وزاري مصغر يضم رئيس الوزراء ، ونائب الرئيس ،وزير الخارجية ،وزير الخزينة الخاصة ووزير الأوقاف.

2 تأسيس مجلس الشوري الأميري ويتكون من 11 عضوا يمثلون مناطق مختلفة.

3 تقسيم البلاد إلى ثماني ولايات وكل ولاية يحكمها خليفة ،

4 ربط علاقات دبلوماسية مع بعض الدول .

5 تصميم علم وطني وشعار وسمي لدولة.[2]

مرحلة الضعف :1839\1847.

شعر الفرنسيون بخطورة نشاطات الأمير عبد القادر علي مستقبل وجودهم بالجزائر، خاصة بعدما دانت له بلاد القبائل ومناطق أخرى من شرق البلاد ،فاحتجوا لدى الأمير على توسعه نحو الشرق باعتبار خرقا لاتفاقه تافنة "والتي سوف نتحدث عنها في المطلب الموالي" فعملوا على إبطالها وإيقاد

[1] ابراهيم مياسي ، المقاومة الشعبية ، مرجع سابق ، ص 17 - 18 .
[2] ينظر: المرجع نفسه، ص19 .

نار الحرب ثانية.فبادر المارشال فالي إلى خرق معاهدة التافنة بعبور قواته إلى الأراضي التابعة للأمير، فتوالت النكسات خاصتاً بعد انتهاج الفرنسين سياسة الأراضي المحروقة.[1]

[1] بشير بلاح ، مرجع سابق ، ص 77.

المطلب الثالث: المعارك والمعاهدات

أولا: المعارك التي خاضها الأمير عبد القادر ضد قوات الاحتلال الفرنسي:

لقد عمل الأمير عبد القادر على مقاومة المحتل الفرنسي منذ دخول الاستعمار، وهذه بعض النماذج من المعارك التي خاضها الأمير عبد القادر ضد قوات الاحتلال الفرنسي :

1 . معركة المقطع 28 جوان 1835:يعتبر الجزائريين معركة المقطع من أهم المعارك التي خضها الأمير عبد القادر .حيث خرج الجنرال تريزل ،قايد حملة وهران في وقت كان السلام يسود البلاد بين الأمير عبد القادر وفرنسا في ظل معاهدة دي ميشال ،خرج الجنرال الفرنسي من مدينة وهران في حركة استعراضية للتحدي والاستفزاز ،مجتاز أراضي الأمير بقوة تتكون من 5000جندي وضابط، ولما بلغ الأمير خبر هده المناورة نهض من معسكر علي رأس قوة تتكون من ألفين من الفرسان وألف من المشاة، ونزال يراقب حركة الجيش الفرنسي.[1] فانطلقت المعركة ظهيرة يوم 28 جوان 1835م،وبدأت المشادات بهجوم الجيش الأمير عبد القادرعلي قوات الاحتلال الفرنسي بطلقات نارية من جميع الجهات، فقام الجيش الأمير بدحرجة الصخور وتشبيك وقطع الطرق، ونتيجة هذه التوغل اضطربت صفوف الجيش الفرنسي من قوات الجيش الأمير، حيث تكبدت خسائر كبيرة لاحتلال الفرنسي.[2]حيث وصف لا مورسيير حالة الجيش بعد معركة المقطع ،حالة الجيش مؤلمة لغاية فإن الروح المعنوية قد هبطت إلى أقصى درجة [3]،حيث كانت معركة المقطع ذات صدي كبير دولي وخاصة لدي الرأي العام الفرنسي والتي سمها الفرنسيون في كتابهم "بمأساة المقطع" بما ألحقته بهزيمة ثقيلة لجيوشهم، وزادت شهرة الأمير عبد القادر ونفوده[4]، حيث ساعدت نتائج المعركة علي توطيد دعائم الدولة الجزائرية التي كان الأمير عبد القادر يسعى لتأسيسها .[5]

[1] ينظر: إسماعيل العربي ،الأمير عبد القادر الجزائري مؤسس دولة وقائد جيش ،مرجع سابق ،ص56.55.

[2] ينظر: سلاماتي عبد القادر، الاستراتيجية الفرنسية لإجهاض مشروع الدولة الجزائرية الحديث 1832.1847م، مرجع سابق ، ص 41.

[3] ينظر: اسماعيل العربي ، الأمير عبد القادر الجزائري مؤسس دولة وقائد جيش ،مرجع سابق، ص 67.

[4] العربي منور، تاريخ المقاومة الجزائرية ،دار المعرفة، الجزائر ،2006، ص141.

[5] سلاماتي عبد القادر ، الاستراتيجية الفرنسية لإجهاض مشروع الدولة الجزائرية الحديثة 1832.1847م.، مرجع سابق ،ص 42.

3 . معركة سيدي ابراهيم 26سبتمبر 1845م: هزمت قوات الاحتلال الفرنسي بمعركة جبل كركور ولم ينج منها إلا 82جندي ، حيث تراجعت هده القوات الفرنسية بضريح سيدي ابراهيم ، فقامت قوات الجيش الوطني الشعبي بمحاصرة ضريح سيدي ابراهيم وطلب الأمير عبد القادر من القوات الفرنسية بقيادة النقيب جارو الاستسلام ،وارسل لهم النقيب دوترت الذي أسر معركة جبل كركور لطلبهم بتسليم أنفسهم لكنهم رفضوا ،وبادروا بإطلاق النار فقتل النقيب دوترت.[1]

ومن خلال المعارك التي خاضها الأمير عبد القادر ضد الاحتلال الفرنسي ، يظهر أبرز مواقف إنساني للأمير وهو معاملته للأسري من خلال العناية الكريمة والعاطفة الرحمة .

ثانيا :الاتفاقيات العسكرية بين الأمير عبد القادر والقادة العسكريين الفرنسين.

كان الأمير عبد القادر بطبعه يميل للسلم ولا يلجأ إلى الحرب ويدخل المعارك إلا عندما تكون مصالحة العليا مهددة، وقد كان الأمير عبد القادر في حاجة إلى السلم والهدوء لبناء وتشيد وتنظيم إدارته علي أسس حديثة ولتسليح جيشه وتعزيز فعاليته في القتال ، ولقد كان للأمير طرق دقيقة بارعة يستعملها لإغراء العدو أو لحمله علي طلب الدخول في مفوضات معه ،ولكنه لم يبادر العدو بطلب التفاوض[2].ومن أهم هذه المفوضات والمعاهدات التي صارت بين الأمير عبد القادر والفرنسين ما يلي:

1. **معاهدة دي ميشال1834**[3]:استطاع الأمير عبد القادر بفضل جيشه الذي بلغ قرابة 60000رجل أن يواجه ضربات قاتلة ومرهبة لجيوش الاحتلال والأعوان الخونة ،الأمر الذي مكنه من نشر الأمن والثقة في النفس في ربوع دولته الوطنية.[4]

حيث استخدم دي ميشال الحاكم الفرنسي لواهران من أجل عقد هدنة مع الأمير، فلجأ إلي حيلة تسمح له بالاتصال مع الأمير عبد القادر واقتراح الهدنة عليه، حيث أرسل دي ميشال إلى مرافقة

[1] ينظر: سلامي عبد القادر ، الاستراتيجية الفرنسية لإجهاض مشروع الدولة الجزائرية الحديث 1847.1832 ،مرجع سابق ،ص 52.

[2] إسماعيل العربي، الأمير عبد القادر الجزائري ، مؤسس دولة وقائد جيش ، مرجع سابق ،ص95.

[3] دميشال :هو لويس الكسي دي ميشال ولد :بالرين فرنسا في [15\1193 مارس 1779م]

[4] العربي منور ،المقاومة الشعبية الجزائري ،دار المعرفة ،2006، الجزائر، ص 139.

بعض جنده لخونة جزائريين، فألقي الجيش القبض عليهم ، فصار دي ميشال فرحا الأن ذلك كانت الوسيلة للاتصال بالأمير عبد القادر ومحادثته بشأن الأسرى واقتراح هدنة عليه.[1]

حيث حمل الاستعمار الفرنسي علي إبرام معاهدة دي ميشال والتي جاءفي مضمونها التزام الطرفين علي ما يأتي:[2]

1. إنهاء القتال بين الطرفين منذ هذا التاريخ 26فيفري 1834م.

2 . احترام العادات والدين الإسلامي.

3 . حرية التجار التامة.

4 . تبادل الأسرى بين الطرفين.

اعتبرت المعاهدة انتصارا كبيرا للأمير فازدادت شعبيته ، وانضم إليه المترددون ،واستفاد من ذلك في شراء السلاح وتحديث الجيش النظامي ،ولكن المعاهدة أثارت المتحمسين للاستعمار من الفرنسين، فقد رأوا فيها خطرا علي مستقبلهم في الجزائر ولاحظوا أن أهداف الأمير لن تتوقف عند شروط المعاهدة ،فأردوا أن يفسدوا عليه خططه قبل أن يستفحل أمره،[3]فقاموا بنقض المعاهدة دي ميشال .

نقضالمعاهدة :لو أتيحت للأمير فسحة من الوقت لا صبحت دولته من أكبر الدول في العالم، ولكن الفرنسين قوم غدارين لا يعرفون للعهود قيمة، ولا يقدرون المواقف الإنسانية ،فعمدوا إلى انقض الهدنة بجملة من الالتواءات والاباطيل ، وذلك يرجع إلى فرض السيطرة الفرنسية علي القبائل.[4]

[1] بشير بلاح ،تاريخ الجزائر المعاصر، مرجع سابق ،ص 177.

[2] سلاماتي عبد القادر ،الاستراتيجية الفرنسية لإجهاض مشروع الدولة الجزائرية الحديثة، مرجع سابق ،ص54.

[3] أبو القاسم سعد الله ،خلاصة تاريخ الجزائر المقاومة والتحرير 1962.1830،دار الغرب الإسلامي ،ط1،2007،بيروت ،ص30.

[4] ينظر :يحي بوعزيز، الامير عبد القادر رائد الكفاح المسلح،، مرجع سابق ،ص 54.

ولما وصل الأمر إلى هذا الحد وعلم الأمير عبد القادر أن المعاهدة قد طوي ببساطها وانقطع نياطها، فنادي أهل دولته ودعهم إلى الجهاد، وقد استجاب الناس إلندائه ، وتجندوا للجهاد.[1]

2 . **معاهدة التافنة30ماي 1837م** :تمت هذه المعاهدة بين الأمير عبد القادر والجنرال الفرنسي بيجو بمنطقة وادي التافنة وتضمنت 15 بندا علي وثيقة بتوقيع الأمير عبد القادر والجنرال الفرنسي بيجو[2].ومن أهم ما تضامنت بيه الوثيقة ما يأتي:[3]

1. اعتراف الأمير عبد القادر بسلطنة فرنسا علي مدينة الجزائر ووهران.

2 . علي فرنسا أن تعترف بإمارة الأمير عبد القادر.

3 . يسمح للأمير أن يشتري من فرنسا البارود وما يحتاجه من الأسلحة.

4 . تكوين تجارة حرة بين العرب والفرنسين . وهذه بعض من مواد معاهدة تافتة.

أتاحت معاهدة تافنة مكاسب معتبرة للأمير، أهمها أنه نال فترة من الهدوء والسلام وهو أشد ما يكونبحاجة اليها لتدعيم سلطانه علي القبائل ولتنظيم جيشه .[4]

نقضالمعاهدة: نقض الجيش الفرنسي المعاهدة كعادته وذلك عندما عبر أراضي دولة الامير دون إذن منه، فأدرك الأمير أن الجيش الفرنسي كان يعمل من أجل مهاجمته خوفا من تزايد قوة دولته.[5]

فأعتبر الأمير عبد القادر هذه التصرف خرقا لبنود "معاهدة تافنة"،حيث بعث الأمير في 18 نوفمبر برسالة تهديد وتحدير من عواقب هذا التصرف .وهكذا بدأت مرحلة جديدة وحاسمة بين الأمير عبد

[1] محمد بن عبد القادر الجزائري ، تحفة الزائر في تاريخ الجزائر والأمير عبد القادر ،مرجع سابق ،ج1 ،ص236.

[2] سلاماتي عبد القادر، الاستراتيجية الفرنسية لإجهاض مشروع الدولة الجزائرية الحديث 1832.1847م ،مرجع سابق، ص 56.

[3] أنظر: علي بن محمد الصلابي ،سيرة الأمير عبد القادر قائد رباني ومجاهد إسلامي، مرجع سابق ،ص190.191.

[4]

[5] بشير بلاح ،تاريخ الجزائر المعاصر، مرجع سابق ، ص179.

القادر والقوات الفرنسية ،لتجديد وتقرير مصير الجزائر ولمن تكون له الغلبة والسلطة علي هذا البلد.[1]

وهذه لمحة موجزة عن بعض المعارك والمعاهدات التي جرت بين الجيش الأمير والعدو الفرنسي ، فكان الأمير محاربا قاسيا أمام كل من حمل السلاح ضده ،وعطوفا حنونا أمام كل من أسري .

[1] محمد بن جبور ،الاحتلال الفرنسي للجزائر ومقاومة الأمير عبد القادر 1830\1847،مرجع سابق ،ص 190.

المبحث الثاني: النشاط الدعوي للأمير عبد القادر

المطلب الأول: مراسلاته

استعان الأمير عبد القادر بالرسائل لتقويم مقام بعض الفنون النثرية الأخرى، كالخطابة مثلا في الدعوة للجهاد وتوضيح بعض الأمور السياسية والدينية، وتوعية الشباب. ووضعه أمام الصورة الحقيقة في هذا الصراع بينه وبين العدو، ذلك لأن فن كتابة الرسائل يتشابه مع الخطابة الفنية، فهو يتفق معها كذلك في الغرض الأساسي. فكلما كان الغرض الأساسي في بداية ظهورها فقد ينشأ فن الكتابة الدنيوية لرعاية أحوال الأمة الإسلامية ومصالحها. إذ كان يستخدم الرسائل في تسجيل شؤون الدولة الرسمية إبان الحرب والسلم، وهذا يتعلق بمصالح الأمة وأحكام الشريعة[1] .

وهذه بعض نماذج من رسائل الأمير عبد القادر إلى قبائل وقادة الجيش حيث جاء مضمون هذه الرسائل موحدة، تدور حول فكرة الدعوة للجهاد والحث عليه من جهة، ومن جهة أخرى تدعو هذه الرسائل إلى بعض القبائل بغرض الدعوة للخير والجهاد[2].

1.**رسالته لأهل فيجح** :(**17 شوال 1251 هجري الموافق لـ 5 فيفري 1836م**) وكان الغرض الأساسي لهذه الرسالة أو النداء هو طلب العون وتأديته وتلبية النداء للجهاد في سبيل الله والوطن. [3] ويستهل الأمير عبد القادر رسالته بحمد الله والصلاة والسلام على رسوله الكريم، ثم يتوجه بالحديث إلى أشراف هذه القبيلة وأعيانها وعلمائها. يقول: "..... أصلحكم الله حالكم واستقبالا وسدد رأيكم ووفقكم لإمارات العصمة ....." [4]. وقد رمى الأمير عبد من خلال هذه المقدمة إلقاء السلام على أهل فجيح ، هادفا إلى إلقاء الطمأنينة في نفوسهم[5]. فالغيرة الدينية والوطنية دفعت

[1] عبد الرزاق بن سبع ،الأمير عبد القادر الجزائري وأدبه ،مرجع سابق ، ص 238 .

[2] عائشة بن ساعد ، البعد الروحي لمقاومة الأمير عبد القادر ،مرجع سابق ، ص 218.

[3] عبد الرزاق بن سبع ، الأمير عبد القادر الجزائري وأدبه ، مرجع سابق ، ص 239 .

[4] المرجع نفسه ، ص 240 .

[5] عائشة بن ساعد ، البعد الروحي لمقاومة الأمير عبد القادر ، مرجع سابق ، ص 183 .

القائد الأمير عبد القادر إلى توضيح أبعاد القضية الدينية والوطنية، حيث دفع الأمير إلى توضيح أبعاد القضية وتجلى الأمر في هذا الصدد "أما بعد فأن الغيرة الإسلامية تحق لأمثالكم والاعتراضات الأنفية تجب على قولكم وأفعالكم وكيف لا والعدو الكافر . أذله الله . جال في بلاد المسلمين وصال ، وحراب مدنهم وقصورهم بمساجدها المعدة للغدو والأصال ....."يعرض الأمير بعد هذا الوصف حال البلاد للحديث عن جهاده وتصديه لمقاومة الظلم والعدوان على الرغم من إمكانياته البسيطة إلا أنه لم يتوارى ولو لحظة للدفاع عن الوطن وشرف الدين[1]. هذا الدين الذي ارتكز عليه الأمير عبد القادر وارتضاه سبيلا للدعوة هذه القبيلة باعتبار أن العدو كافر داس على كل مقومات هذا الشعب ودنس مساجد أذن الله أن ترفع ويذكر فيه اسمه بالغدو والاصالة[2]. ويلجأ الأمير في رسالته إلى التركيز على الجانب العقائدي والديني، فأثرت رسالته بآيات من الذكر الحكيم والأحاديث النبوية التي تدعو كلها وتحث على التعاون والتكافل والإخوة والجهاد وبالتالي فإن الاعتماد على الجانب الديني من طرف الأمير تدل على الذكاء ومدى سعته، فوصف الأمير الكثير من الأحاديث النبوية وأدق ما يخدمه في الخطابة من القرآن الكريم مركزا على الجانب العقائدي كقوله عن الاخوة "إن المؤمنون إخوة....". ويؤكد عبد القادر أن دعوته هذه لا تخرج عن دعوته الكبرى لتوحيد صفوف المسلمين وتعزيز الروابط بينهم، زيادة في قوتهم وهيبتهم لمواجهة العدو المتربص بديار المسلمين[3]ا.

وقد يكون أبرز شيء في هذه الرسالة هو وضوح أهداف الأمير فبعد عرضه لهذه القوية يواصل في إبراز عنصر هام في الجهاد؛ وهو الشهادة بأن الإيمان يدفع بالمجاهدة إلى البسملة في القتال[4].

2.**رسالته للوزير مصطفى خازندار (في رجب 1272 هجري الموافق لـ 1855م)** أرسلهاالأمير يخاطب الوزير مصطفى خازندار في شأن قرابة لهم من جهة الأم هاجروا إلى تونس أملا أن تمنحهم السلطات التونسية أرضا زراعية يعيشون فيها، فيقول " فأن لي قرابة من جهة الأم هاجروا إلى تونس وهم من أشرف العلماء والفقراء فنطلب من سيادتكم أن تشملوهم برحمتكم ..... كما هي عاداتكم وتنتظرون أرضا يعيشون برعايتها ويستقرون بها ولكم الأجر والشكر من الداعية بالخير

[1] عبد الرزاق بن سبع ، الأمير عبد القادر الجزائري وأدبه ، مرجع سابق ، ص 240 .

[2] المرجع نفسه ، ص 241 .

[3] المرجع نفسه ، ص 243 .

[4] عائشة بن ساعد ، البعد الروحي لمقاومة الأمير عبد القادر ، مرجع سابق ،ص184 .

وسائر الأمراء الملة المحمدية" [1]. والهدف الأساسي من هذه الرسالة كان محدودا وهو الاهتمام بالجزائريين المهاجرين إلى تونس وقد لعبت هذه الرسالة وغيرها دورا في تسهيل فرصة العيش الكريم للجزائريين في تونس، لما كان يحظوا به الأمير من حب وتقدير من طرف الجميع بماضيه المشرف وحاضره النبيل الزاخر بالأعمال الجليلة، التي لم يجعلها الأمير منوطة بتحقيق أغراضه الشخصية بل لخدمة أبناءه ووطنه في جميع الأقطار التي هاجروا إليها فرارا من العدو وبطشه[2].

أما النوع الثاني من الرسائل كانت في زمن الحرب حيث تبادل الأمير عبد القادر مجموعة من الرسائل مع جنرالات فرنسا وشخصيات غربية وأوروبية، يدور مضمون هذه المراسلات تارة في السياسة تتعلق بشؤون الحرب والمعاهدات، وتارة أخرى تخص بعض القضايا التي تمس علاقات الأمير وإمارته مع بعض هذه الدول، من طلب العون والعتاد والتدخل لدى فرنسا لوقف عدوانها[3]. والحقيقة أن الدراسة لهذه الرسائل يكشف أن الأمير عبد القادر مفاوض قدير ودبلوماسي محنك من الطراز الأول، خاصة وأنه تصدى لمسائل تمس وطنه أو عقيدته، ولذلك فهو يسخى كل ما يملك من براهين وأدلة وحكمة، ويعطي كل مقام ما يلزمه من صنوف الكلام، لأنه يعلم بأن هذه المراسلات جزء منه ودفاعا عن الدين والوطن[4]. وقد اخترنا أقوى النماذج تعبيرا لدراستها وتحليلها كالتالي:

1- **رسالتهللجنرالدي ميشيل**: تبادل الأمير عبد القادر مع قوات فرنسا خاصة دي مشيل الذي نال نصيب الأسد من مراسلات الأمير لوجوده على رأس القوة المتعدية هذه الفترة[5]. حيث جاءت هذه الرسالة كرد لرسائل دي مشيل السابقة والتي لم تجد رد لها عند الأمير لسبب الأعمال التي قام بها الجيش الفرنسي من ترغيب وترهيب للقبائل وسبب في ردتها عن الإسلام، بالتعامل مع العدو الفرنسي وبذلك نلاحظ أن هدف هذه الرسالة التي كتبها الأمير عن قضية الأسرى الفرنسيين المتواجدين عند الأمير، فيؤكد في رسالته عن وصول رسائل خصمه بكل ثقة ويطمئنه عن حال الأسرى مؤكد له حالتهم الجيدة التي ضمنها لهم الشرع الإسلامي[6] فيقول: " فقد وصلنا كتابكم

[1] المرجع نفسه، ص 191 .

[2] عبد الرزاق بن سبع ،الأمير عبد القادر الجزائري وأدبه ، مرجع سابق ، ص 251 .252 .

[3] المرجع نفسه ، ص 263 .

[4] المرجع نفسه ، ص 263 .

[5] عبد الرزاق بن سبع ، الأمير عبد القادر الجزائري وأدبه مرجع سابق ، ص264.

[6] عائشة بن ساعد ، مرجع سابق ، ص 197 .

المتضمن أفضل النصائح فقدرناها قدرها وعلمنا أنكم تحثون في كتابكم الثالثة على الإفساح عن الأسرى مع أننا نعتني بشأنهم غاية الاعتناء والإفساح عنهم ليس له أهمية لدينا غير أن الحال التي نحن بها لا تسمح لنا أن نردهم بدون فدية"[1]. يؤكد الأمير من خلال الرسالة عن الاستعداد بالتفاهم بشأن السلام عادل يرضي كافة الأطراف[2] فقول: " فإن رغبتم في الاتفاق قبل تسليم الأسرى إليكم عند المعاهدة بيننا"[3]. حيث وضح الأمير عبد القادر نقطة هامة وهي أنه وتطبيقا لشريعة الإسلام فلن يكون البادئ بالصلح ولكنه لن يرفضه إذا عرض عليه مصدقا لقوله تعالى:

﴿ ۞ وَإِن جَنَحُوا۟ لِلسَّلْمِ فَٱجْنَحْ لَهَا ﴿٦١﴾ ﴾[الأنفال: 61]، على أن يكون هذا السلم أو الصلح مبنيا على شروط محترمة، تكفل لكل طرف حقه وكرامته. وفي الأخير يمكن أن نستنتج أن الأمير عبد القادر عبر في هذه الرسالة على قوته في التخاطب واستعداده لإطلاق سراح الأسرى ضمن شروط ممكنة وليست بالمستحيلة تضمن الرضى لكل الأطراف، ولم يفكر الأمير في الجنوح للسلم إلا بعد إلحاح من طرف الخصم، إذن تختلف هذه الرسالة عن غيرها في لهجتها المباشرة الخالية من الثناء الحاملة لروح الحرب وقوة المواقف[4].

لم يكتف الأمير عبد القادر بمراسلة الفرنسيين فقط بل راسل ملوك وحكام الأخرين معرفا بقضيته وجهاده المشروع فاضحا للعدو تجاوزاته طالبا المد والدعم، هادفا إلى كسب الرأي العام. وقد اخترنا نموذج من هذه المراسلات التي تعود للأمير عبد القادر:

2- رسالته لملكةإسبانياإيزابيلاالثانية (12 **جمادى الأولى** 1253 **هـ الموافق لـ** 28 **أفريل1847 م**) حرص الأمير على مصالحة الجميع فتوجه بهذه الرسالة لملكة إسبانيا مخاطبا إياها بعد الحمد والصلاة على سول الله ﷺوأتباعه مستهلا رسالته بعبارة من أمير المسلمين ليؤكد للملكة أنه المتحدث باسم شعبه قائدا للأمارة والجهاد فيقول إلى الملكة العظيمة [5] قائلا :"من ملك المسلمين المسلمين عبد القادر بن محي الدين إلى جلالة ملكة إسبانيا من مسلم به لدى جميع الناس أن

[1] محمد بن عبد القادر الجزائري ، تحفة الزائر ،مرجع سابق ،ص 177.
[2] عائشة بن ساعد ، مرجع سابق ، ص 198 .
[3] محمد بن عبد القادر الجزائري ، تحفة الزائر ،المرجع نفسه ،ص 177.
[4] عائشة بن ساعد ، مرجع سابق ، ص 198 .
[5] عائشة بن ساعد ، البعد الروحي لمقاومة الأمير عبد القادر الجزائري ، مرجع سابق ، ص 198 .

الإسبان أمة قوية وقديرة مشهورة بأعمالها الكبيرة منذ أزمنة بعبدة وبناء على وضعيتهم هذه بمقدورهم ملاحظة مقاومتنا ضد الفرنسيين والوضعية التي أنزلونا إليها وإذ ليس من الفائدة إطلاقا أن نحكي ونقص لجلالتكم تفاصيل هذه المقاومة وما حدث وما مضى منذ عدة سنوات بيننا لأننا لا نشك بأنكم على علم بذلك مثلنا."[1]

أغراضمراسلاتالأميرعبدالقادر:تمحورت رسائل الأمير على ما يأتي:[2]

1. الدعوة إلى الجهاد والحث علي مقاومة العدو ، وهي المراسلات التي كان يبعثها الأمير عبد القادر إلي خلفائه وقواد الجيشة ورؤساء بعض القبائل .

2 . طلب الدعم والتأييد والعون باسم الأخوة الإسلامية

3 . التشاور وتبادل الآراء مع الرؤساء وسلطين .

4 . توضيح موقفه وموقف الإسلام من أحداث فتنة دمشق في رسالته .

[1] عبد الرزاق بن سبع ، الأمير عبد القادر الجزائري وأدبه ، مرجع سابق، ص 275 .

[2] المرجع نفسه ، ص 238 .

المطلب الثاني: دعوة الأمير إلى التعليم

كان الأمير عبد القادر عالما فذا ومصلحا اجتماعيا كبيرا بشهادة أعدائه فإنه لم تشغله رسائله الحربية والتحررية عن أن ينظم البلاد إداريا ويكون في الشعب روح التحرر من الجهل كما بعث فيه حماس التحرر من الاستعمار[1]، ولقد أدرك الأمير من أول مرة أن نجاح المعرك الحربية يتوقف على انتشار الوعي القومي في مختلف الطبقات، والوعي القومي عبارة عن فشو الثقافة وانتشارها[2] حيث اهتم الأمير عبد القادر خلال بناء دولته اهتماما كبيرا بالتعليم والعلم فيعد التعليم والعلم بالنسبة للأمير نشاطا أساسيا للنهضة وذلك من خلال ما يأتي:

أ- **بناء المدارس:** انتبه الأمير إلى أهمية التعلم وخاصة بعد أن لاحظ الجهل المخيم على المسلمين وأدرك أن القوة المادية وحدها عاجزة عن تبليغ رسالته الإصلاحية فأخذ على عاتقه بعث روح التحرر من الجهل في شعبه، ولهذا لم يغفل عن إنشاء المدارس في أنحاء الوطن لكي يتعلم فيها الشباب إلى جانب المساجد والزوايا المنتشرة في البلاد،[3] حيث أسس الأمير منذ البداية نظاما للتعليم العام بين جميع القبائل، وقال فيه: "واجبي كحاكم ومسلم أن أؤيد بعض العلوم والدين لذلك فتحت المدارس في المدن وبين القبائل" وفي هذه المدارس كانوا يتعلمون الصلوات ويحفظون تعاليم القرآن وفروضه ويعرفون جيدا القراءة والكتابة والحساب[4]. كانت المراحل التعليمية عند الأمير عبد القادر أساسها القرآن الكريم في كل المستويات التعليم[5]. وقد بلغ عدد المدارس التي بناها الأمير عبد القادر في تلمسان وحدها 50 مدرسة ابتدائية ومعهدان كبيران للتعليم الثانوي والعالي وهما: مدرسة الجامع الأعظم ومدرسة أولاد الإمام وهذا يدل على أن التعليم كان منتشرا جدا ويحتل المقام الأول في دولة الأمير الذي أولى عنايته بالمدارس والمساجد والزوايا[6].

---

[1] يحي بوعزيز ، رائد الكفاح المسلح ، مرجع سابق ، ص 140 .

[2] المرجع نفسه ، ص 140 .

[3] المرجع نفسه ، ص 140 .

[4] شارل هنري ، حياة الأمير عبد القادر ، تقديم أبو القاسم سعد الله ، الدار التونسية لنشر ، تونس ، 1974 ، ص 152 .

[5] المرجع نفسه ، ص 152 .

[6] يحي بوعزيز ، مرجع سابق ، ص 140. 141 .

ب-**تشجيع العلم:** لقد دعم الأمير عبد القادر العلم وجعل التعليم مجانا لرغبة بعض الطلبة المجتهدين في مواصلة دراستهم حيث خصص الأمير عبد القادر رواتب للطبلة على حسب معارفهم ودرجاتهم، وأدرك الأمير عبد القادر أن العلم هام جدا فعمد على تشجيعه ودعم الطلاب بالعلم والمعرفة[1].

لقد كان الأمير عبد القادر مؤمنا بضرورة التعليم وهو يقول: " في كل علم نافع أن في المعاد أو في المعاش، أو الكمال الإنساني إذ كل علم يفيد النظر عقلا مزيدا وجميع العلوم للصناعة والنظرية تفيد عقلا" ويقول أيضا : "نتائج الأفكار لا تقف عند الحد وتصرفات العقول لا نهاية لها" [2]. فقد كان الأمير هو من المنشغلين بالعلم والتعليم ويدرك أن العلم والثقافة عنصر أساسي في بناء المجتمع ومن أجل هذا كان يتسامح في تعامله مع طلبة العلم فيعفيهم من الضرائب ويكافئ المجتهد منهم مكافآت نقدية وعينية سخية وله أقوال في هذا الصدد تبين مدى اهتمامه بطالب العلم، فكان يقول: "أشعر شعورا قويا بأهمية العلم لدرجة أني عفوت مرات عديدة عن بعض الطلبة الذين استحقوا الموت"[3].

ويمكن اعتبار الأمير عبد القادر لهذه الصنيعة المحددة الدينية للقرن الثالث عشر في المغرب العربي حيث أنه كان رجل السيف والقلم معا، والمجاهد الذي انحنى له لواء الجهاد والعلم في وقت واحد. ففي الوقت الذي كان يجاهد فيه العدو الغربي والمحتل الفرنسي كان يقدم برنامج الإسلامي الإصلاحي في مجال التربية والتعليم وينشر الفكر والثقافة بين أهل البلاد[4].

ج- **جمعالكتبوالمحافظةعليها:** ومن النشاط الدعوي الذي قام به الأمير عبد القادر والذي بذل فيه قصارى جهده هو جمع الكتب والمحافظة على المخطوطات من الضياع[5]؛ حيث أنه كان يقدر جيدا الزمن الذي يلزم لكتابة نسخة واحدة فالحفاظ عليها أفضل من بذل ذلك المجهود الذي يمكن توجيهه لمساعي جديدة وعلوم جديدة. ولما علم جنوده بمدى اهتمام الأمير بهذا الموضوع فقد حرصوا على جمع المخطوطات أثناء الغزوات[6]. فنظم الأمير عبد القادر مكتبة كبيرة في الزمانة[7].

---

[1] هنري تشرشل ، حياة الأمير عبد القادر ، مرجع سابق ، ص 152 .

[2] عائشة بن ساعد ، البعد الروحي لمقاومة الأمير عبد القادر الجزائري ، مرجع سابق ، ص 318 .

[3] بركات محمد مراد ، الأمير عبد القادر المجاهد ، مرجع سابق ، ص 20 .

[4] المرجع نفسه ، ص 20 .

[5] عائشة بن ساعد ، مرجع سابق ، 318 . 319 .

[6] هنري تشرشل ، مرجع سابق ، 152 . 153 .

[7] يحي بوعزيز ، رائد الكفاح المسلح ، مرجع سابق ، ص 141 .

المطلب الثالث: دور الخطبة في النشاط الدعوي للأمير عبد القادر .

بعد الجهود العظيمة والمساعي الكبيرة التي بذلها السيد محيي الدين في محاولته للتصدي للمحتل الفرنسي وقيادة القبائل للجهاد في سبيل الله من أجل الدفاع عن الوطن واستردادها من بين أيادي المستعمر الغاصب؛ رأى الناس بأهمية مبايعته ليكون قائدهم في حربهم ضد المستعمر الغاصب، ولكنه اعتذر بكبر سنه، مما جعل الأعين تلتف حول ابنه عبد القادر لما وصله من قوة وشدة بأس وقوة الحجة، مما دفع بالمواطنين للتفكير في مبايعته لقناعتهم بقدرته على ذلك، وذلك بعد أن أشار عليهم السيد محي الدين بأن يقوموا بمبايعة ابنه الأمير عبد القادر، وكان قد اتفق مع الأهالي على أن يكون موعد عقد موافقا لـ 24نوفمبر1832م وفيما كان محي الدين جالسا مع بعض من ضيوفه تحت شجرة الدردار لم يفاجأ سكان مناطق غريس بقدوم زعماء مناطق بعيدة إذ كثيراً ما كانوا يأتون للاجتماع بالشريف محيي الدين في هذا المكان، ويجلسون تحت الدرارة للتشاور معه أو لعقد ندوات فقهية أو لحل مشكلة اجتماعية وعندما علموا أن نجل الشريف محيي الدين مرشح سلطاناً على البلاد كبروا بأعلى أصواتهم "الله أكبر"؛ فلم يعترض أحد عن الفكرة وذلك لكون عبد القادر شاب قوي على درجة عالية من العلم وفارس شجاع، وسيم الطلعة، شريف النسب، كريم ومتواضع، ومعظم القبائل تكن لسيدي محي الدين وأولاده محبة واحتراماً، وبعد ساعات غصّ المكان بوفود زعماء القبائل وأعيان المدن والأشراف والعلماء وزعماء القبائل الشرقية والغربية، عطاف وسنجاس وبنوالقصيرومرابطوابجاية وجميع بنو خديد وبنو العباس وعكرمة وفليتةوالمطاملية ومجاهر والبرجية والدوائر والزمالة والغرابة واليعقوبية وخيموا في مناطق أريحة من مناطق غريس حول شجرة الدردار وكان يجلس في ظلها بصدر المكان الشريف محيي الدين وحوله ابنه الأمير عبد القادر وإخوانه وجموع الوفود الوافدة لعقد البيعة الأولى.

جلس عبد القادر إلى جانب والده وإخوته الذين علت وجوههم ابتسامة الرضا لأن كلاً منهم كان يدرك أن شقيقهم عبد القادر كان أكثرهم شجاعة وقوة تحمل وكانوا يحبونه ويفخرون به، ولم يبد أي منهم اعتراضاً على اختيار أبيهم له وعندما اكتمل هذا الاجتماع التاريخي تقدم الوالد من عبد القادر مبايعاً وشد على يده قائلاً: كيف ستحكم البلاد ي ولدي،؟ أجاب عبد القادر: بالعدل والحق الذي أمر به رب العالمين، سأحمل القرآن بيد وعصا من حديد بيد أخرى، وسأسير على هدي كتاب الله وسنة رسوله، ثم التفت الوالد سيدي محيي الدين مخاطباً الجموع قائلاً لهم: إنه ناصر الدين عبد

القادر بنمحيي الدين لقب ليس سلطاناً ولا ملكاً وإنما أميراً عليكم أيها الأخوة المؤمنون، ثم تقدمت عائلته تشد على يده مبايعة وتلاهم الأعيان ورؤساء القبائل حسب مراكزهم والعلماء والأشراف وكل من حضر ذلك الاجتماع التاريخي العظيم.

قبل مغادرة تلك الجموع المكان وقف الشريف محيي الدين فيهم إماماً وصلى صلاة العصر وبعد أن صلى ركعتين صلاة الاستخارة اقترح أن يكون التوقيع على نص المبايعة في مسجد الحسن في عين البيضاء، فوافق الجميع لما لهذا المسجد من مكانة تاريخية حافلة بالأمجاد.

وفي يوم المبايعة وفي الموعد المحدد وبعد صلاة الفجر انطلقت عائلة الشريف محيي الدين من القيطنة على متن جيادهم ملاقين زعماء القبائل في المسجد. وما إن وصل الشريف محيي الدين وإلى جانبه أولاده المسجد جلس منتظرا دخول رؤساء القبائل الجزائرية.

وبعد اجتماع الجميع وقف عبد القادر بن محيي الدين وفي عينيه بريق العزم والإخلاص والإيمان وقد تزمّل برداء الهيبة ليلقي أحد أهم خطبه وهي خطبة البيعة الأولى.[1]

الخطبة:

خاطب الأمير عبد القادر بن سيدي محي الدين زعماء القبائل والأعيان وممثلي العشائر والعلماء فقال:"بعد ذكر اسم الله الرحمن الرحيم والصلاة على رسوله – ثم بادرهم بقوله– إنني لست أفضلكم خلقاً وشجاعة وحكمة، ولم يخطر لي هذا المنصب يوماً ولكنني أجبرت عليه كما تعلمون فهو مسؤولية أمام الله وأمامكم، أرجو منه تعالى التوفيق والعون لتطهير البلاد من الغزاة ورفع راية الإسلام عالية في سماء بلادنا، فالإسلام هو الذي وحدّ قبائلنا بعد شتات وجعلها قوة لا تقهر، تدفعنا ميادين المجد والشرف وجعلنا إخوة يحب أحدنا لأخيه ما يحب لنفسه ولا فرق بين عربي وأعجمي ولا أبيض ولا أسود إلا بالتقوى، وأمرنا بالعدل والمساواة وإذا عدنا إلى التاريخ نجد كل من دخل هذه البلاد غازيً من رومان وفاندالوإسبان هزمتهم قوة بأس وشجاعة الأجداد، وكان هدف غزوهم لبلادنا إخضاع شعوبنا وإذلالها ونهب خيرات بلادنا لزيادة رفاهية شعوبهم والذين حالف النصر أعلامهم من

[1] ينظر:محمد علي الصلابي، سيرة الأمير عبد القادر، مرجع سابق، ص109-110.

الفاتحين حملوا إلى هذه البلاد حضارة إلهية، وشيدوا صروحاً من القيم باقية إلى الأبد لا ينضب معينها ودخلوا هذه البلاد.[1] لتكون دعوة الإسلام حرة فيها.

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَمَآ أَرۡسَلۡنَٰكَ إِلَّا رَحۡمَةٗ لِّلۡعَٰلَمِينَ ١٠٧ ﴾[الأنبياء: 107]. ومدينة راقية لا تزال آثارها تشهد عليها في مدننا في فاس، وقرطبة، وغرناطة، وإشبيلية، وفي وهران، وقسنطينة، إخوتي في الإسلام، أيها السادة زعماء القبائل والعلماء أيها المجاهدون من أبناء هذا الوطن العظيم سنكون أقوياء سندافع عن الراية والرسالة التي حملها لنا طارق بن زيد وموسى بن نصير وسيظل ارتباطنا وثيقاً بدولة الخلافة العثمانية ارتباطاً روحياً بنظامها الإسلامي، ولن نكون جاحدين لأعمال الأخيار من الولاة في خدمة الإسلام ومحاربتهم لقوى الشر في بلادنا ولن تخرج دولتنا عن طاعة الخليفة، ولن نكون عوناً لأعدائها عليها، وكما قال والدي: هذا المنصب الذي اخترتَوني له لن يكون متوارثاً وأرفض لقب سلطان أو ملك قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ حَسۡبِيَ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۖ عَلَيۡهِ تَوَكَّلۡتُۖ وَهُوَ رَبُّ ٱلۡعَرۡشِ ٱلۡعَظِيمِ ١٢٩ ﴾[التوبة: 129].. والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

تحليل الخطبة

1. البعد الروحي لخطبة الأمير عبد القادر

لقد كان لخطبة الأمير عبد القادر أثرا بالغا في نفوس المستمعين، حيث أنه ولما فرغ من خطبته جعل الحاضرين بمسجد الحسن في عين البيضاء يرددون "الله أكبر" "الله أكبر"، ويمكن القول بأن قوة ردة الفعل الإيجابية على خطبة الأمير عبد القادر إلى بالغ تأثير العبارة المستخدمة في الخطبة وقوة الأقناع. كما ويرجع نجاح الأمير عبد القادر في اقناع الحاضرين لخطبته الأولى إلى ثقافته وتفقهه في الدين واستخدامه لعبارات قوية ومؤثر واستعانته بفن الخطابة والأساليب والمناهج التي استقاها من خلال حياة التزهد والتفقه في الدين التي نشأة عليها منذ طفولته .

[1] المرجع نفسه، ص111.

2. دعوة الأمير عبد القادر لجموع الحاضرين من خلال خطبة بيعته الأولى :

- الدعوة للتمسك بدين الله
- الدعوة للجهاد
- الدعوة إلى المساوات والعدالة
- الدعوة إلى طاعة أولى الأمر
- الدعوة إلى التوحد ونبذ التفرقة

بدأ الأمير عبد القادر الخطبة بما كان يبدأ به الخلفاء الراشدين خطبهم؛ فقال: "إنني لست أفضلكم خلقاً وشجاعة وحكمة، ولم يخطر لي هذا المنصب يوماً ولكنني أجبرت عليه كما تعلمون فهو مسؤولية أمام الله وأمامكم". كما قال أبو بكر الصديق حين تولى الخلافة بعد وفاة الرسول صلى الله عليه وسلم: "ألا إني قد وليت عليكم ولست بخيركم". وهذه إشارة منه على النهج الذي سيتبعه في ولاية أمر المسلمين من السير على نهج صحابة رسول الله في تسيير أمور من ولّي عليهم.

ثم يذكر الأمير عبد القادر الهدف والسبب الرئيس الذي من أجله تولى أعباء هذه المسؤولية العظيمة، وهي ردِّ العزاة الطامعين ورفع الظلم عن الناس، ولمِّ شتات المسلمين وتوحيد الكلمة والصف من أجل المواجهة، ويقول في ذلك: "أرجو منه تعالى التوفيق والعون لتطهير البلاد من الغزاة ورفع راية الإسلام عالية في سماء بلادنا، فالإسلام هو الذي وحدّ قبائلنا بعد شتات وجعلها قوة لا تقهر، تدفعنا ميادين المجد والشرف وجعلنا إخوة يحب أحدنا لأخيه ما يحب لنفسه ولا فرق بين عربي وأعجمي ولا أبيض ولا أسود إلا بالتقوى". وهذه الوحدة التي ينشدها الأمير عبد القادر لا تنحصر في فئة معينة ولا تقتصر على عرق دون آخر فلا فرق بين عربي وعجمي عنده إلا بالتقوى، وهو مبدأ قرره خير البرية سيدنا محمد ﷺ في خطبة الوداع حين قال: "لا فرق بين عربي ولا عجمي إلا بالتقوى".

ويقرر الأمير عبد القادر أمرا من أمور الحكم وأساسا لا غنى عنه لتحقيق ما يسعى إليه وهو العدل، فيقول: "وأمرنا بالعدل والمساواة". فالعدل أساس الحكم وميزانه ودعامته التي يستند إليها.

وبعد ذلك يشير الأمير إلى التاريخ النضالي للشعب الجزائري فهذه الأرض تعرضت على مر العصور والأزمان لطمع الغزاة، فما كان من أهلها الأحرار إلا أن وقفوا في وجههم وردوا المعتدين بشجاعة

وقوة، ويقول في ذلك: "وإذا عدنا إلى التاريخ نجد كل من دخل هذه البلاد غازيً من رومان وفاندالوإسبان هزمتهم قوة بأس وشجاعة الأجداد، وكان هدف غزوهم لبلادنا إخضاع شعوبنا وإذلالها ونهب خيرات بلادنا لزيادة رفاهية شعوبهم". فالتاريخ يعيد نفسه والمطلوب من أهل هذه استكمال المسيرة في المقاومة والجهاد والحفاظ على الأرض التي بذل الأجداد الغالي والنفيس من أجل حريتها وحفظ كرامة أهلها. وهنا يحاول الأمير عبد القادر أن يستنهض الهمم ويثير حماسة الناس ومن اجتمع لبيعته من أجل الجهاد، وهو في الوقت نفسه إعلان عن النهج والمصير الذي قرره الأمير لنفسه ولمن التف حوله من الناس بأن الخيار الأفضل هو المقاومة والجهاد وبغير المقاومة لن تحفظ الكرامة ولن تصان الأرض.

وبعد ذلك يذكّر الأمير الناس بأن الفتح الإسلامي الذي شهدته هذه الأرض هو فتح هداية ورحمة ورسالة عالمية كرّمنا الله بها لنكون أخوة في الإسلام؛ إذ يقول: ""والذين حالف النصر أعلامهم من الفاتحين حملوا إلى هذه البلاد حضارة إلهية، وشيدوا صروحاً من القيم باقية إلى الأبد لا ينضب معينها ودخلوا هذه البلاد لتكون دعوة الإسلام حرة فيها، **قَالَ تَعَالَىٰ:** ﴿ وَمَآ أَرۡسَلۡنَٰكَ إِلَّا رَحۡمَةٗ لِّلۡعَٰلَمِينَ ١٠٧ ﴾[الأنبياء: 107]. ومدينة راقية لا تزال آثارها تشهد عليها في مدننا في فاس، وقرطبة، وغرناطة، وإشبيلية، وفي وهران، وقسنطينة، إخوتي في الإسلام".

وعليه يجب أن نحافظ على هذه الدعوة ونسير على نهج الإسلام الذي كرمنا الله به، فندافع عن مبادئنا التي استقيناها من ديننا الحنيف فلا نفرط بها.

ثم يتوجه الأمير عبد القادر إلى الجمع الغفير من الناس من زعماء وعلماء ومجاهدين من أبناء الجزائر فيذكرهم بالرسالة التي يجب أن يستكملوها ويحملوا لواء الإسلام الذي حمله الفاتحون العظماء إليهم، مثل: طارق بن زياد، وموسى بن نصير، ويقول في ذلك: "أيها السادة زعماء القبائل والعلماء أيها المجاهدون من أبناء هذا الوطن العظيم سنكون أقوياء سندافع عن الراية والرسالة التي حملها لنا طارق بن زيد وموسى بن نصير".

ويؤكد الأمير عبد القادر في نهاية خطبته الارتباط الوثيق الذي لا انفصام له، وهو الخلافة الإسلامية التي تجمع شمل المسلمين في جميع أصقاع الأرض، فلا خروج على الخليفة، فيقول: "وسيظل ارتباطنا

وثيقاً بدولة الخلافة العثمانية ارتباطاً روحياً بنظامها الإسلامي، ولن نكون جاحدين لأعمال الأخيار من الولاة في خدمة الإسلام ومحاربتهم لقوى الشر في بلادنا ولن تخرج دولتنا عن طاعة الخليفة، ولن نكون عوناً لأعدائها عليها".

ويختم الأمير خطبته برفضه ان يكون منصب الإمارة التي بايعه الناس عليها منصبا متوارثا كما يرفض أي لقب كسلطان أو ملك، فهو ينظر إلى هذه الإمارة على أنها تكليف من الناس للقيام بأعباء الجهاد ورفع راية الإسلام، فهي ليست منصب رئاسة وتشريف له بل هي مهمة يطلب من الله أن يعينه عليها ويسدد خطاه على الطريق الصحيح، ويقول في ذلك: " وكما قال والدي: هذا المنصب الذي اخترتَوني له لن يكون متوارثاً وأرفض لقب سلطان أو ملك **قَالَ تَعَالَىٰ:** ﴿ حَسۡبِيَ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۖ عَلَيۡهِ تَوَكَّلۡتُۖ وَهُوَ رَبُّ ٱلۡعَرۡشِ ٱلۡعَظِيمِ ١٢٩ ﴾[التوبة: 129].

المبحث الثالث: المنهج الدعوي للأمير عبد القادر

كان الأمير عبد القادر متأثرا بمآثر السلف الصالح نظرا لتربيته الدينية، وكان يدعوا ويحاول جاهدا الاقتداء بهم، فكان معجبا أشد إعجاب بالخليفة الفاروق عمر بن الخطاب رضي الله عنه في عدالته وفي اختلاطه برعيته[1].

هذا ما اشار اليه في شعره بهاذين البيتين:

وقد سرت فيهم سيرة عمرية

وأسقيت ظميها الهداية فارتوي

وإني أرجو أن أكون أنا الذي

ينير الدياجييأمتنابعدما لوى[2]

المطلب الأول: الدعوة الأمير عبد القادر للعبادة

تعد العبادة الوسيلة الوحيدة التي تكفل في الجانب الروحي من حياة الانسان لتطهير النفوس وتنقيتها من الشوائب حتى تسير وفق العقيدة ولتسمح بالنهوض بالواجبات.[3] حيث تفرغ الأمير عبد القادر للعبادة والحلقات العلمية في مدة إقامته بدمشق كان متفرغا للصلاة والذكر[4].

فأثر الصلاة مثلا أثر ورحي تطيب به النفس المتعبدة، وتصل بخالقها وتواجهها إلى مراقبة سلوكها ونزعتها، حتى تسود المعاني الإنسانية في حياة المؤمنين[5]. لهذا كان الأمير عبد القادر يلزم الناس بحضور الصلوات الخمس في المساجد، لتعويدهم على هذه الرياضة الروحية التي تدعو إلى طاعة الله وأوامره

[1] عائشة بن ساعد ،البعد الروحي لمقاومة الأمير عبد القادر ، مرجع سابق ، ص 331.
[2] نصر الدين سعدوني ، عصر الأمير عبد القادر ، مرجع سابق ، ص116 .
[3] عائشة بن ساعد ، البعد الروحي لمقاومة الأمير عبد القادر ، مرجع سابق ، ص226.
[4] محمد بن محمد الصلابي ، سيرة الأمير عبد القادر ، مرجع سابق ، ص 218.
[5] عائشة بن ساعد ، البعد الروحي لمقاومة الأمير عبد القادر ، مرجع سابق ، ص326.

ونواهيه، حين يستقبل المصلي ربه طاهرا بعد أن أزال على جسده نجاسة البدن والثوب والمكان، لتكون بها النفس صالحة صافية، إن الصلاة تنهى بذلك عن الفحشاء والمنكر وتأمر بالمعروف، فالصلاة عماد للدين[1].

فإذا حضر وقت الصلاة وأذن المؤذن يخرج الأمير فيصلي بهم إماما ويعاقب كل من تخلى عن صلاة الجماعة بغير عذر[2].

اقتدى الأمير بالعملات التي كانت موجودة بدولة الاسلام إذ كان إذا بقي التاجر في دكانه وقت الصلاة تجلد الشرطة حتى لا يعود إلى إهمالها، فالصلاة هي عماد الدين كما سبق وأن ذكرنا.[3]

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱسۡتَجِيبُواْ لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمۡ لِمَا يُحۡيِيكُمۡۖ وَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ يَحُولُ بَيۡنَ ٱلۡمَرۡءِ وَقَلۡبِهِۦ وَأَنَّهُۥٓ إِلَيۡهِ تُحۡشَرُونَ ٢٤ ﴾[الأنفال: 24]

فإهتم الأمير عبد القادر كثيرا بالصلاة حتى إنه كان يتولى الإمامة في الأماكن التي يقوم بزيارتها، وإن صادف يوم الجمعة يحثهم في خطبه عن فضائل الصلاة ودورها.[4] ولهذا إهتم بالمساجد كثيرا التي كانت على عهد الحروب خيم كبيرة بها مطاب تعقد بها الندوات الدينية، ورغم ظروف الحرب حرص الأمير على الصلاة لأنها تعلم الجميع كيفية المحافظة على أكانها وشروطها وعلى إخلاص النية فيها قبل كل شيء، فمن يخلص النية في الصلاة يخلص على أعداء الله داخل نفسه ويخلصها ليكون قادرا على مواجهة أعداء الله في الخارج.[5]

فالصلاة كانت ومازالت مرتبطة بالعبادات الأخرى كالجهاد، فمن غير المعقول أن يترك المجاهد صلوات وتقبل منه الشهادة، لأن الجهاد الحق يتطلب إيمانا عميقا، ومتواصلا بالله سبحانه وتعالى[6]، كما أن أول أبواب الجهاد هي جهاد النفس.

---

[1] المرجع نفسه، ص 327 .

[2] محمد بن عبد القادر ، تحفة الزائر، ج 1 ، مرجع سابق ،ص211-212.

[3] عائشة بن ساعد ،البعد الروحي لمقاومة الأمير عبد القادر ، مرجع سابق ، ص 327 .

[4] أبو القاسم سعد الله ،حياة الأمير عبد القادر ، مرجع سابق ، ص 155.

[5] عائشة بن ساعد ، البعد الروحي لمقاومة الأمير عبد القادر ، مرجع سابق ، ص 328 .

[6] المرجع نفسه ،ص 328 .

المطلب الثاني: الدعوة للابتعاد عن المحرمات

كانت دولة الإسلام وتبقى دولة عقائدية، مهمتها المحافظة على الأخلاق الإسلامية عن طريق إرشاد وتوجيه الأفراد، فدولة الإسلام لم تقتصر في وظائفها على الأعمال الدنيوية بل أيضا على أعمال الاخرة. بالرجوع إلى ما يأمر به الشرع الإسلامي ولهذا يبقى الإصلاح كمصطلح كضرورة دائمة لتقويم المجتمع.[1]

هذا ما ذهب إليه الأمير عبد القادر الجزائري من خلال الإصلاح ودعوة شعبه، وقد عمد على إتباع سلوبين في عمله الدعوي لأبناء شعبه:

أولا: هادي بالنهي عن طريق التأمل والفصاحة والدهاء وصواب الرأي، لحمل خصومه على طريق هادئ.

ثانيا: بالترهيب حين يجد المخالفة والتعنت والعصيان.

يقول صاحب تحفة الزائر: "ومن العجب أن تمكن إمارتهم كانت بقوتين قوة رغبة وقوة رهبة، إلا أن القوة الاولى كانت هي المعول عليها....." [2].

يعود الأمير للجوهرة لتطبيق قانون الشرعي دون رفض القانون الوضعي الذي قد يحقق المنفعة للأمة، فالاجتهاد المعتمد على العقل والحكمة والتكيف والمرونة مع كل المواقف التي تخص الفرد والمجتمع هام جدا وهذا ما سعى إليه الأمير بتربية شعبه وتهذيبه أخلاقيا، من خلال بعض الأحكام التي أصدرها بخصوص بعض المحاذير والمحرمات وأهمها[3]:

1.**منع المحرمات ومحاربة الآفات**: لقد سعى الأمير عبد القادر من أجل إصلاح مجتمعه، إلى تجنب ارتكاب المحرمات وعقوبة من يرتكب هذه المحرمات من خلال إرشادهم وإصلاحهم إلى الطريق الصحيح. فعلى سبيل المثال:

[1] عائشة بن ساعد ، البعد الروحي لمقاومة الأمير عبد القادر ، مرجع سابق ، ص 323.

[2] محمد بن عبد القادر الجزائري ، تحفة الزائر ، ج 1 ، مرجع سابق ،ص 220 .

[3] عائشة بن ساعد ، البعد الروحي لمقاومة الأمير عبد القادر الجزائري ، مرجع سابق ، ص 323 .

● **عقوبة معاقرة الخمور والقمار واستعمال التبغ:** رأى الأمير أن إصلاح المجتمع لا يأتي فجأة بل عليه إصلاح الفرد بتعريفه بذاته وبناءها، فيقول في موقفه: "إن كل من لم يسلك طريق ويتحقق بعلومهم حتى يعرف نفسه لا يصح إخلاص ولو كان أعبد الناس وأروعهم وأزهدهم وأشهدهم هروبا من الخلق واختفاء وأكثرهم تدقيقا وبحثا عن دسائس النفوس وخفايا العيوب فإن رحمة الله بمعرفة النفس صح له الإخلاص".[1] وقد منع الأمير عبد القادر أيضا الناس من التدخين وفرض عقوبات صارمة على شاربي الخمور ولاعبي القمار[2]، حيث كان يقول في هذا الصدد: " أما الخمر والميسر فقد منعتهما تماما كما منعت التدخين ليس معنى ذلك أن ديننا يمنع التدخين ولكن جنودي كانوا فقراء ولذلك كنت حريصا على أن أبعدهم عن عادة معروفة بزيادة الفقر".[3]

● **قضاء على الزنى والسرقة:** لقد فسر لنا الأمير عبد القادر في موقفه آية مهمة قال تعالى: "أفرأيت من اتخذ إلاه هوى واضله الله على علم" (صورة الجاثية الآية 23)، فالأمير يرى أن النفس لها ميل إلى ما يؤذيها لأن الإنسان بطبعه ثائرا على الروح، في مملكته الإنسانية يتبع هواه وهو فراغ وضلالة، ولهذا حارب الأمير العهر بشدة[4]، لما فيه من مضار للمجتمع ومن ضياع للأنساب ومن تفكك للأسر، بل إنه ابتعاد عن القرآن واعتناق للمحرمات التي نهى عنها الشرع وجعل لها حدود وتنتهي بالرجم والقصاص، حيث كان الأمير عبد القادر لا يتردد في معاقبة المخالفين ليكونوا بالفعل اسوأ عبرة للباقين[5]. أما السرقة فقد كلف الأمير خلفاءه وأعوانه وقادته لتحمل المسؤولية كاملة عن جرائم السرقات التي تقع في مناطقهم، وبالتالي حرص كل واحد منع حدود النهب، حيث جعل الأمير مهمة الأمن والاستقرار هي مهمة الدولة وليست مهمة الناس[6]. ومع هذا ظهر الأمن بعد الفوضى وزالت سرقات الخيول ليلا وأصبحت المرأة تستطيع الخروج وحدها دون خوف أو إهانة.[7]. وضل تحذير الأمير لمن تسول له نفسه للسرقة، إذ يذكر لنا "الكولونالإسكوب" أنه تعرض للسرقة

---

[1] الأمير عبد القادر الجزائري ، المواقف ، موفم للنشر ، الجزائر ، 2009 ، [موقف 4] ، ج1 ، ص 35 .

[2] يحي بوعزيز ، رائد الكفاح المسلح ، مرجع سابق ، ص 142 .

[3] أبو القاسم سعد الله ، حياة الأمير عبد القادر ، مرجع سابق ، ص 154 .

[4] المرجع نفسه ، ص 153 .

[5] عائشة بن ساعد ، البعد الروحي لمقاومة الأمير عبد القادر ،مرجع سباق ،ص 325 .

[6] المرجع نفسه ، ص 325 .

[7] أبو القاسم سعد الله ، حياة الأمير عبد القادر ، مرجع سابق ، ص 153 ،

وتلقى تأكيد من الأمير عبد القادر أنه لو عثر على أصغر أمتعته عند عربي لقطع رأسه على الفور، ويعود هذا الأمن لنجاح الأمير في ترسيخ التصورات الإسلامية في مجتمعه، تنظيما له على هدى القرآن والسنة[1]. أدت إصلاحات الأمير عبد القادر في مجتمعه إلى ارتفاع الروح العامة.[2]

2.**موقفه من استعمال الذهب والفضة:** نهى الأمير عبد القادر عن استعمال الذهب والفضة إلا في الأسلحة عملا بما تفتضيه أحكام الشريعة بتحريمها لاستعمال الرجل للذهب والفضة، إلا بالمقدار المحدد في الدين[3]. حيث كان يقول الأمير عبد القادر: "لقد منعت منعا باتا استعمال الذهب والفضة والفضة في ثياب الرجال، لأني كنت أكره التبذير والتحلل، الذي يؤدي إليه، ولم اتسامح إلا بتزيين الأسلحة والسروج".[4]

[1] عائشة بن ساعد ، البعد الروحي لمقاومة الأمير عبد القادر ، مرجع سابق ، ص 326 .

[2] أبو القاسم سعد الله ، حياة الأمير عبد القادر ، مرجع سابق ، ص 153 .

[3] عائشة بن ساعد ، البعد الروحي لمقاومة الأمير عبد القادر ، مرجع سابق ، ص 325 .

[4] أبو القاسم سعد الله ، مرجع سابق ، ص 153 .154 .

المطلب الثالث: الدعوة للعدالة والمساواة

ضل العدالة ولا يزال ضد الجور محاكيا للاستقامة المتوسطة دائما بين طرفي الافراط والتفريط، والمساواة هي عدم التفريق والتمييز، وما إن تجتمع هذه الصفات حتى يكسب صاحبها الثقة والولاء، وهذا ما أدركه الأمير عبد القادر بعد أن أصبح الملائم الأخير لقومه، خاصة بعد أن وضعوا فيه كل ثقتهم فأوجب على نفسه إتباع سياسة العدل والمصلحة العامة التي أمره الله بها[1].

وجدت العدالة والمساوات في ظل هذا النظام التي تبلورت عليها لكونها مبدأ مستوحى من الشريعة الإسلامية وعلى هذا الأساس لم يخشى الأمير أي قوة أخرى ما عدا الله في تنفيذ القوانين، وقد لا نستطيع حصر كل الانجازات التي قام بها الأمير عبد القادر من خلال العدالة والمساواة وكن سنحاول تسليط بعض الميادين منها[2]:

- **المساواة:**

أولا لمساواة في المشاركة في الحرب والجهاد: لعل أول دلائل العدالة مشاركة الأمير في الحرب بسيفه وجوده غير مستثنى منها أهله وقبيلته وهو الذي يقول في ذلك: "ما فعلت ذلك خوفا من تمييز نفسي أمام ضربات قنابل العدو ولكني فعلته لأني كنت أرغب ألا أفرض على العرب إلا ما أفرضه على نفسي"[3]

ثانيا إلغاء الامتيازات والضرائب غير الشرعية: حاول الأمير إزالة مظاهر اللامساواة وعدم التقارب بين أفراد شعبه، من خلال التزامه بالعدل والمساواة في تحصيل ما يلزم ويتوجب على رعيته، فكسب ثقتهم والهب حماسهم الديني لمناصرته، كما عمل جاهدا على تخفيف الأعباء التي كانت موجودة في العهد العثماني، كضريبتي اللازمة والغرامة المخالفتين للشريعة الإسلامية. لكنه احتفظ بضريبتي العشور والزكاة الاولى في المزروعات موسم الخريف والثانية من الانعام بنسبة معينة. أما المعونة التي استحدثها الأمير عبد القادر لتجديد في الحرب وخلق التكافل داخل المجتمع فجاءت لمساعدة المحتاجين وخلق التوازن المادي داخل المجتمع، كما أبطل الامتيازات التي كانت تحظى بها بعض القبائل كالمخزن

[1] عائشة بن ساعد ، البعد الروحي لمقاومة الأمير عبد القادر ، مرجع سابق ، ص 298 .

[2] المرجع نفسه ، ص 298 .

[3] أبو القاسم سعد الله ، حياة الأمير عبد القادر ، مرجع سابق ، ص 154 .

والكراغلة والدوائر والزمالة. وقد دفع ثمن هذا الإبطال غاليا بثورتهم عليهم نظرا لتعودها على المكانة العالية في المجتمع، وبذلك دفع ثمن انسلاخها من المجتمع، وبعد هذا القرار الشجاع لم تعد هناك استثناءات من دفع المؤونة الحربية، ولم يقم الأمير بفرضها إلا بعد إن استشار العلماء والفقهاء لكي لا يتجاوز في ذلك حدود الشرع[1]. فحين توقف الجهاد في فترة السلم امتنع بنو عامر عن دفع الضريبة رغم أنهم أول من دعي للجهاد، فخاطبهم الأمير في خطبة الجمعة قائلا: ".... ألستم انتم أول من رجاني أن أسس حكومة منظمة توحي إلى الخيرين بالثقة وإلى الأشرار بالخوف.... كيف تستطيع أي حكومة أن تواصل عملها بدون ضرائب"[2]. ويواصل الأمير شرحه على منبر الخطبة فائدة هذه الضريبة لاستمرارية الجهاد والجهاد البناء[3] قائلا: " هل تضن أن أصغر قطعة نقدية في الضريبة التي أطلبها تستخدم في مصارفي الشخصية ..... إنكم جميعا تعلمون أن أملاك والذي تكفي لحاجتي الشخصية ، إن أطلبه هو ما فرضه قانون الرسول عليكم كمسلمين حقيقيين، وإني أقسم بالله العظيم أن ما يدخل يدي سأحتفظ به كأمانة مقدسة من أجل انتصار الإسلام[4]. وقد تأثر شيوخ بني عامر بهذا النداء الصريح وقد وعدوه باسم قبيلتهم بدفع الضريبة.[5]

- **العدالة:**

أولا العدالة في اختيار موظفي الدولة:

عمل الأمير على بناء جسر شرعي بينه وبين شعبه، والتزم لمد هذا الجسر بتطبيق العدالة في أحكامه وبث روحه في كل المؤسسات، وأولها الحكومة التي يستخلف كل موظفيها على صحيح البخاري دون استثناء[6] مؤمنا بأنه لا فرق لعربي على اعجمي ولا أبيض على أسود إلا بالتقوى وأن المؤمنين إخوة سواسية كأسنان المشط في قوله تعالى:﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّا خَلَقۡنَٰكُم مِّن ذَكَرٖ وَأُنثَىٰ وَجَعَلۡنَٰكُمۡ شُعُوبٗا وَقَبَآئِلَ لِتَعَارَفُوٓاْۚ إِنَّ أَكۡرَمَكُمۡ عِندَ ٱللَّهِ أَتۡقَىٰكُمۡۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٞ ١٣ ﴾[الحجرات: 13]، وقد

[1] عائشة بن ساعد ، البعد الروحي لمقاومة الأمير عبد القادر ، مرجع سابق ، ص 298 .
[2] هنري تشرشل ، حياة الأمير عبد القادر الجزائري ، مرجع سابق ، ص 83 .
[3] عائشة بن ساعد ، مرجع سابق ، ص 298 .
[4] هنري تشرشل ، مرجع سابق ، ص 83 .
[5] المرجع نفسه ، ص 83 .
[6] عائشة بن ساعد ، مرجع سابق ، ص 301 .

أعطى الأمير عبد القادر المثال الثابت والتاريخي الذي لا يزول، حيث أنه لم يعطى الأفضلية لاختيار موظفيه العرب والأرياف لكونهم مسلمين وهو منهم، بل منحها لأصحابها فلم يبعد "الكراغلة ""ورجال المخزن " بل حاول كسبهم ووضعهم في مناصب هامة لعمق نظرته. أما القانون بالنسبة للأمير فلم يرتبط بأي اعتبار آخرلأنه استمد معانيه من الكتاب والسنة ولم يتردد في فتح الباب للمواهب والطاقات غير المشترطة في ذلك نسبا أو أصلا أو سوابق أو مالاَ بل اشترط الشخصية القوية والسمعة النظيفة والكفاءة وحسن السيرة والعلم والحزم حتى يستوثق منهم اليمن لعمله بمبدأ التولية وعمله بالآثار الواردة عن عمر بن الخطاب وأداء اليمن على صحيح البخاري.[1] ولم يتوقف الأمير عند تعيين الرجال فحسب بل كان يراقبهم ويطلع على تصرفاتهم لكي لا يختل العدل بين الناس، على غرار ما كان يقوم به الخليفة الراشد عمر بن الخطاب رضي الله عنه[2]. ويتمثل التقسيم الإداري الذي أحدثه الأمير عبد القادر في دولته على ما يأتي:

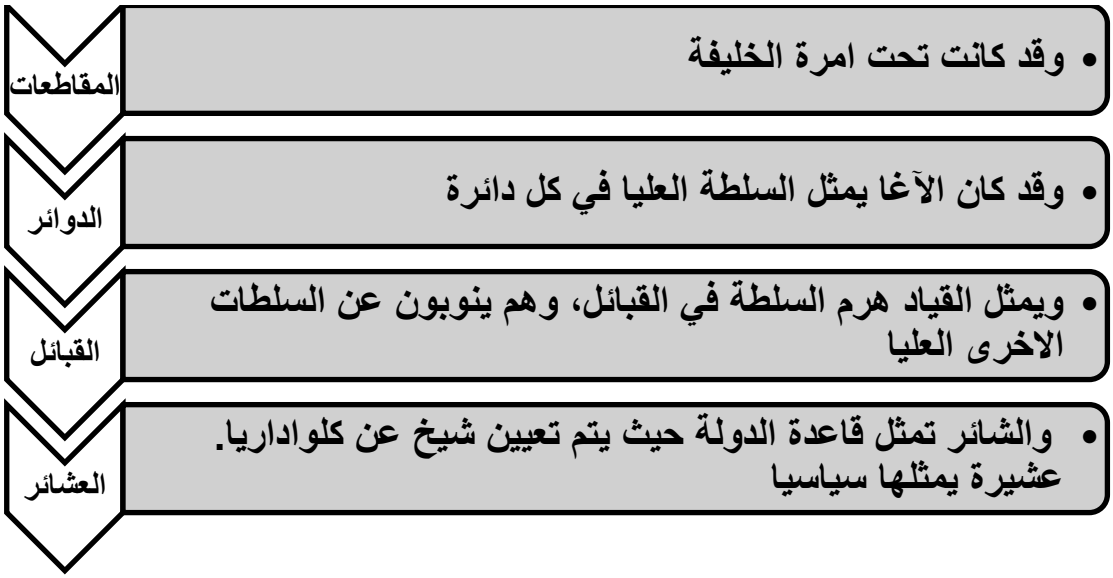

لم يهمل الأمير توضيح أمر مرتبات موظفيه بل جعلها ثابتة ليتجنب ابتزاز الأموال حيث جعل للخليفة مرتبة كاملة وللأغا عشر ما يجمعه من الزكاة والضرائب وكذلك الأمر بالنسبة للقائد والشيخ، فيأخذ كل ذي حقا حقه[3].

ثانيا العدالة في النظام القضائي:

[1] عائشة بن ساعد ، البعد الروحي لمقاومة الأمير عبد القادر الجزائري ، مرجع سابق ، ص 301 . 302 .

[2] المرجع نفسه ، ص 303 .

[3] عائشة بن ساعد ، البعد الروحي لمقاومة الأمير عبد القادر ، مرجع سابق ، ص 303 .

اهتم الأمير عبد القادر بالقضاء اهتماما بالغا، حيث يعد القضاء المرآة الصادقة المعبرة عن العدالة، ولكي يحقق الأمير هذه المعادلة المهمة في بناء الدولة جعل القاضي يستمد نصوصه من القرآن الكريم، وهذا ما أدى بالفعل إلى انتعاش العاطفة الدينية لدى السكان[1]. فمنع الأمير عبد القادر الظلم وهو أساس لبناء الدولة حيث جعل للعدالة بيوتا عامرة يجد المشتكي فيها من يستمع إليه وينصفه إن كان على حق[2]. جعل الأمير الولاء والقضاء وموظفي الدولة تحت مراقبة مستمرة ومشددة حتى يحقق الأمير عبد القادر الغرض من ذلك أعطى عناية خاصة باختيار سلك القضاة، فقد جاء في سيرته الخاصة به: " إن أول شيء ابتدأ به الأمير هو النظر في أمر القضاء، واختار العدل لها في موطن....."[3]. ولم يكتفي الأمير بذلك بل حفز المظلوم على طلب العدل لكونه حق مشروع، فعين لهذا الغرض منادين يجبون الأسواق يعلنون أنه من له شكوى ضد خليفة او أغا أو شيخ فليرفعها إلى ديوان الأمير من غير وساطة، فإن الأمير ينصفه عن من ظلمه.[4]

وقد أحيا الأمير بذلك ولاية المظلوم المشهورة في التاريخ الإسلامي بحيث لا يضيع حق أحد بعد تنفيذ الأحكام خصوصا إذا كانت التهمة ثابتة على مرتكبها، فقد لخص صاحب تحفة الزائر عدل الأمير عبد القادر بقوله "كان الأمير محافظا على إقامة الحق ناشرا لواء العدل على عموم الرعية، يجري القصاص الشرعي والسياسي على أصحاب الجنايات لما يستحقونه"[5].

ثالثا العدل في اقتسام الأرزاق:

انتقل الأمير من منع الظلم المعنوي إلى منع الظلم المادي في اقتسام الأرزاق في زمن الحرب، منطلقا من إيمانه بضرورة التقشف وبذل الأموال في سبيل الله والوطن مثبتا ذلك بالفعل لا بالقول، حين باع مصنوعات أسرته ووضعها في بيت المال ليشارك فيها كل شعبه المسلم[6].

---

[1] المرجع نفسه ص 303 .

[2] المرجع نفسه ، ص 304 .

[3] نصر الدين سعدوني ، عصر الأمير عبد القادر ، مرجع سابق ، ص 215 .

[4] المرجع نفسه ، ص 215 .

[5] محمد بن عبد القادر الجزائري ، تحفة الزائر ، مرجع سابق ، 225 .

[6] عائشة بن ساعد ، البعد الروحي لمقاومة الأمير عبد القادر الجزائري ، مرجع سابق ، ص 305 .

فدعي الأمير لتدريب رجاله على الصبر وكان يلزمهم بالشروع بنفسه في إعطاء المثل في التواضع والورع، بالعمل جنبا إلى جنب مع الرعية والسهر ليلا والجوع والصبر على الأذى، وتقديم حق الآخرين قبل حقه، والمخاطرة بنفسه مع رفاق الجهاد، جاعلا بذلك من المساواة روحا عالية تفوق القانون، كما حرص أيضا على تفقد شعبه ليعرف أخبارهم، فكان يختلط بالرعية ليطمئن على أحوالهم ويحل ما يراه عالقا[1].

وفعلا صدق من قال: "لا عدالة بدون مساواة ولا مساواة بلا حرية"، وقد حقق الأمير هذه المعادلة الصعبة إرضاء لربه واستجابة لواجبه وضميره وصدقت الآية الكريمة القائلة بعدم استواء الحكام في حكمهم ولا في تطبيقهم لمبدأ المساواة ولا في تعويد الناس عليهم؛ **قَالَ تَعَالَىٰ:** ﴿ **أَفَمَن كَانَ مُؤْمِنًا كَمَن كَانَ فَاسِقًا ۚ لَّا يَسْتَوُۥنَ ﴿١٨﴾** ﴾[السجدة: 18].

[1] المرجع نفسه ، ص 306 .